تجارب دعوية ناجحة

أبطالها .. رجال ونساء .. بل وأطفال

تأليف

د. عبد الرحمن بن محمد الفارس

ⓒ عبدالرحمن بن محمد الفارس ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفارس ، عبدالرحمن بن محمد
تجارب دعوية ناجحة : أبطالها رجال ونساء بل أطفال. / عبدالرحمن بن محمد الفارس - ط٢. . - الرياض ، ١٤٣٢هـ
١٣٧ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢ ـ٧٤٧٩ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ـ الدعوة الاسلامية ٢ـ التربية الاسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣٢/٤٧٠٤

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٤٧٠٤
ردمك : ٢ ـ٧٤٧٩ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مقدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فالدعوة إلى الله طريق الرسل الكرام، إمامهم محمد عليه أتم صلاة وأزكى سلام.

عاش حياته كلها للدعوة إلى الله ممتثلاً التوجيه القرآني الكريم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

فَلَنا في حرصه ﷺ على تزكية نفسه أعظم أسوة!

وفي حرصه على الدعوة مهما كانت الظروف أعظم عِبرة!!

ومع تلهفه على إسلام عمه أبي طالب، قبل أن يتخطفه الموت، لنا وقفة!!!

بل عندما أُوذي أعظم الإيذاء بمكة، يَمَّمَ وجهه شطر الطائف، فكان الرد الأسوأ، والتصرف الأقبح من سفهائها فرجع – فداه أبي وأمي – كئيباً حزيناً، وأسند ظهره لذلك البستان جائعاً متعباً، فحصل الحوار القصير الذي أثمر إسلام عداس الغلام الصغير.

مما يدل على أهمية استغلال الداعية لجميع المواقف التي يمر بها.

بل العجب العُجاب حينما كان مُطارداً يوم الهجرة!!

فبمروره بخيمة أم معبد أدخل الإسلام إلى قلبها، وقلب زوجها.

وعند وقوفه لمحاورة سراقة بن مالك – الطامع في الجائزة الكبرى..

أثمر ذلك إسلامه، بل أعطاه كتاب أمان، وأبو بكر – رضي الله عنه – كان بجواره، وهو خائف.

والسعي في طريق الدعوة الصحيح يتطلب التشمير عن سواعد الجد، مع الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والاستئناس بسيرة سيد الناس ﷺ مراعين في ذلك سلامة المنهج والوسيلة، وحسن الأسلوب.

والقصص لها أسلوبها الأخّاذ، وإيجازها البليغ، وإقناعها السريع، جمعتها أزهاراً من بساتين مجلاتنا الإسلامية عبر عددٍ من السنين. أثاب الله القائمين عليها أجزل المثوبة على جهودهم الدؤوبة!

وقد قسمت هذه القصص إلى عدة فصول:

الفصل الأول: قصص وعبر عن اهتمام المرء بإصلاح نفسه تعليماً، وتزكية، وتدريباً، أيًّا كان عمره، وجنسه، ووضعه الاجتماعي، وثمرة ذلك العاجلة.

الفصل الثاني: قصص وعبر عن اهتمام الزوجة بزوجها، ودورها في دعوته وتوجيهه للخير، وقد قصرت الحديث عليها؛ لإدراك الجميع دور الزوج في دعوة زوجته!! نظراً لمكانته، وقوامته.

الفصل الثالث: قصص وعبر توضح أهمية تربية الأبناء تربية سوية، وما ينتج عن ذلك من حُسْن الأثر عليهم، وعلى من حولهم.

الفصل الرابع: قصص وعبر عن الدور الكبير للمعلم والمعلمة في توجيه الطلاب والطالبات إلى ما فيه الخير في العاجلة والآجلة.

الفصل الخامس: قصص وعبر عن أهمية استغلال الداعية لكل موقف، ففي الولائم، والأعراس كانت لنا قصص، وفي اللقاءات العابرة كانت لنا فرص،و للسيدي والكتيب والمطوية دور لا يستهان به.

الفصل السادس: قصص وعبر توضح أنه لا شيء يمنعك من العمل للإسلام، سواء كان المرء صحيحاً أم مريضاً، طائعاً أو حتى عاصياً، فلا شيء يمكن أن يمنع الإنسان الصادق من نفع دينه وأمته!!

الفصل السابع: قصص وعبر تتحدث عن بعض مآسي المسلمين، وتوضح بعض جهود المنصِّرين، فكيف يطيب للمسلم الصادق أن يتخاذل عن نصرة دينه؟! فإخوانه المسلمون يطلبونه وينادونه، وأعداؤه المتربصون يحاربونه، وعن دينه يصدونه.

وأما الخاتمة: فأجملت فيها عدداً من الوصايا التي يتسلح بها الدعاة الصادقون في طريق دعوتهم لمن حولهم.

أسأل الله أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها من العمل الصالح الذي يرفع مقامنا في الجنة درجات، وندائي للقراء الكرام أن يُتحفونا بما لديهم من قصص تشجع على الدعوة؛ لنُخرجَ معاً الجزء الثاني من هذه المجموعة المباركة.

وربُّنا الرحمن المسئول، أن يوردنا جميعاً حوض الرسول، صلى الله عليه وسلم.

كتبه

د. عبدالرحمن بن محمد الفارس

جوال: ٠٥٠٥٤٨٩٣٧٥

ص . ب: ٤٢٧٤

الرياض: ١٣٢٥-٦٧٥٨

Islamico122@gmail.com

مسرد الموضوعات

م		
	المقدمة	٣
	الفصل الأول : اهتمام المرء بإصلاح نفسه	
	عجيب أمرهم!!!	١٠
١	الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله-	١٢
٢	شاب .. بمائة ألف شاب ...!!	١٤
٣	وامرأة .. بألف ..!!	١٧
٤	عندما حققت النجاح	١٨
	سعة الافق	٢٢
	الفصل الثاني : اهتمام الزوجة بزوجها	
	الدعوة بين الزوجين	٢٦
	كيف تؤثرين على زوجك	٢٧
٥	زوجي والصلاة	٢٨
٦	زوجي المدخن	٣٠
٧	تدّرج مبارك	٣١
٨	قطيعة رحم	٣٣
٩	زوجي والدش	٣٤
١٠	جحيم المخدرات	٣٥
١١	نعم الزوجة	٣٨
	نصائح ذهبية للزوجات	٤٠

	الفصل الثالث: حسن تربية الأبناء	
	الأبناء	٤٤
١٢	بين أزقة المدينة	٤٥
١٣	فتاة تشفى من السرطان بعد أن اقترب منها الموت	٤٧
١٤	سبحان من ألهمه !!	٤٨
١٥	دمعة أب ..!!	٤٩
١٦	خمسة عشر عاماً	٥١
١٧	إنها التربية في نعومة أظفارها	٥٣
١٨	أطفال في ركاب الدعوة	٥٤
	لماذا نشجع صغارنا على الدعوة إلى الله ؟!	٥٧
	الفصل الرابع : مع المعلمين والمعلمات	
	شكر وعرفان	٦٠
١٩	تجربتي	٦١
٢٠	بين معلمتين	٦٣
٢١	أفضل موقف	٦٨
٢٢	صغيرة .. ولكن بقلب كبير	٦٩
٢٣	أسرة كاملة تستقيم بخمسة ريالات !	٧٠
٢٤	الحديث الذي غير حياتي !!	٧٢

	الفصل الخامس : أهمية استغلال جميع المواقف	
	بذرة الخير	٧٦
٢٥	نور الهداية	٧٧
٢٦	توبة حداثية ،لماذا ؟ كيف ؟؟	٧٩
٢٧	إيمان .. وعبير	٨٢
٢٨	ويبقى العود ما بقي اللحاء	٨٥
٢٩	بسبب شريط واحد ؟	٨٧
٣٠	كم بكيت !!	٨٨
٣١	بين أمواج الحياة	٨٩
٣٢	هداية امرأتين	٩١
٣٣	من الظلمات إلى النور	٩٢
٣٤	ثمرة التقوى	٩٨
٣٥	قصة شيعي اهتدى	٩٩
٣٦	خمس هللات !!	١٠٢
٣٧	أنا .. والسيجارة !!	١٠٣
٣٨	بسبب نسخه !	١٠٤
٣٩	إنسانة جديرة بالحياة	١٠٦

	الفصل السادس : لاشيء يمنعك من العمل للإسلام	
	لا تمنعك معصيتك من العمل للإسلام وحمل همّ المسلمين	١١٢
٤٠	اللحظة الحاسمة وعجائب الدعاء !!	١١٦
٤١	الماليزية التي غيرت حياتي	١١٧
٤٢	كتلة لحم جامدة	١١٨
٤٣	عندما طُرق الباب	١٢٠
٤٤	امرأة في اللحظات الأخيرة	١٢٠

	الفصل السابع : من مآسي المسلمين ! ومن جهود المُنصَّرين ! !	
٤٥	سبعون عاماً	١٢٤
٤٦	في تشاد ....!	١٢٦
٤٧	نداء مؤلم	١٢٩
٤٨	عندما عرفت قدر نفسي	١٣٣
	الخاتمة	١٣٥

الفصل الأول

اهتمام المرء بإصلاح نفسه

عجيب أمرهم!!!

روى البخاري – رحمه الله – في قصة نزول الوحي على النبي ﷺ، أن ورقة بن نوفل لما أخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، قال: ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك، **فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجيَّ هم؟!» قال:** نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عودي(١).

عجيب أمر الدعاة...

يُواجَهون بكل أنواع الظلم والمحاربة والاستهزاء، ومع ذلك فهم صابرون محتسبون... !!

عجيب أمر المصلحين!!...

يخرج المصلح منهم وحيداً فريداً، يقف بمفرده أمام الأمة بمجموعها، لا يضره مَنْ خذله، ولا من خالفه، يتألَّب عليه الخاصة، وينفر منه العامة، يصفونه بأقذع الصفات، ويتهمونه بأبشع الأخلاق، ومع ذلك فهو رافع الرأس، عالي الهمة، صادق العزيمة!..

ينظر المصلح إلى الناس مِنْ حوله؛ فيجد الانحراف، والضلال، والبعد عن شرع الله فيتحرك قلبه، ويهتز ضميره، ويصبح، ويمسي مفكراً في هموم الأمة وأحوالها، يظل قلق النفس، لا يهدأ باله بنوم أو راحة، ولا تسكن نفسه بطعام أو شراب.. وكيف يقوى على ذلك، أو يرضى به، وهو يرى أمته تسير إلى الهاوية، وفصول الهزيمة والاستكانة تتوالى تباعاً؟؟!!

إن المصلح صادق مع نفسه، صادق مع الآخرين، يجهر بالحق، ويُسمي الأشياء بأسمائها، ويكره التدليس والخداع وتزوير الحقائق، ولا يرضى بالمداهنة، أو المداراة، وهذا ما لا يُرضي العامة الذين أَلْهَتْهُم شهواتهم وأهواؤهم عن ذكر الله، كما لا يُرضي المتنفذين الذين يستمدون وجودهم، ومكانتهم من غفلة العامة وسكرتهم.

ينطلق المصلح مستعيناً بالله تعالى، يجوب الآفاق رافعاً صوته بكلمة التوحيد الخالص، لا يعتريه فتور، ولا خور، ولا يقعده عن أمنية الإبلاغ رغبة، ولا رهبة، ولا خوف، لأن القلب العامر بنور الإيمان يكتسب قوة وثباتاً يستعلي بهما على زخرف الدنيا، وبطش الجبابرة.

إن عظمة المصلح تتجلى في ثباته، ورباطة جأشه، وقدرته على مواجهة الناس، بدون كلل أو ملل، فالحقُ يمكن أن يصل إليه الكثيرون، ولكن الصدع به، والثبات عليه، والصبر على الأذى فيه

(١) أخرجه البخاري برقم (٣).

منـزلة شامخة لا يصل إليها إلا المصلحون الأفذاذ.

إن عظمة المصلح تتجلى في رعايته لهموم الأمة كبيرها وصغيرها، دينيها ودنيويِّها، فهو يعيش للأمة يذُبُّ عن بيضتها، ويحمي حماها، ولا يعلِّق قلبه بشكر الناس أو حمدهم، أو ترَهب نفسُه من غضبهم أو ظلمهم، يقولها صادقاً:

﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾ (هود: ٥١).

إنَّ المصلحين هم صانعو الحياة، وباعثو الأمل في الأمة، هم حرسها ، وقادتها ، وحُداتها إلى كل خير في زمن عزَّ فيه الْحُدَاةُ، وندر فيه الصادقون..!

الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -

شيخ الإسلام.. ومُجَدّده...

جهوده في دعوته لا تخفى على كل ذي عينين.. ولكن ما كان لها أن تظهر وتعلو، إلا بعد أحوال وأهوال (بهمّة تُرقيه، وعلم يُبصّره)، فكان ما كان، والحمد لله الرحيم الرحمن.

عاد العباد للتوحيد بعد الشرك، وظهرت السنة، وانقمعت البدعة.. ولكن لو استعرضنا قطفاً من سيرته لرأينا العجب العجاب!!

نشأ في بيت علم وطهر، وأكبَّ على القرآن الكريم حفظاً وقراءة بالتدبر، وعلى طلب العلم في حله، وترحاله، داخل الجزيرة وخارجها، كان خلال رحلاته واطلاعه على أحوال الناس ساخطاً سوء معتقداتهم، وتَعَلُّقَ كثير منهم بغير ربهم.

فكان يُنكر المنكرات أينما حلَّ، مما سبب له الكثير من الأذى من العامة والخاصة، وكان والده لا يريد منه الشدة على الناس؛ إلا أنه كان مصمِّمًا على ما أراده من خير، فلم يجهر بدعوته العظيمة إلا بعد وفاة والده عام ١١٥٣ هـ - فجلس للتدريس والإفادة، وتقرير العقيدة الصحيحة؛ فتبعه بعض أهل البلدة التي أقام بها – وهي بلدة حريملاء – ثم اشتهر اسمه، وذاع صيته؛ فتوافد عليه الناس من البلدان المجاورة، ثم بدا له – بعد محاولة اغتياله – الانتقال إلى بلدة العيينة أكبر بلدان نجد، وأكثرها سكاناً، فناصره أميرها؛ فازداد الشيخ نشاطاً في القول والعمل، فأمر بالأشجار المعظَّمة فقُطِّعت، وبالقباب المشيدة على القبور فَهُدِّمَتْ، فاشتهر أمره، وطارت أخباره فَكَثُر أتباعه!

إلا أن المعارضين والمعاندين كانوا أكثر من الموالين؛ فأذاعوا عنه الأكاذيب، ورموه بالزور، وأشاعوا عنه البهتان!

ولا غرابة في ذلك، فكلُّ دعوةٍ إصلاحية تُصاب بمثل هؤلاء الأعداء، فكان أن أُخرج إلى الدرعية؛ فحصل اللقاء التاريخي بينه وبين أميرها – محمد بن سعود رحمه الله – وتعاهدا على النصرة والدعوة – فرحمة الله عليهما!

فتفرغ الشيخ لتأليف الرسائل والكتب؛ لِتُبْعَثَ إلى أمراء البلدان وعلمائها.. فازداد النور توهجاً.

وحصل ما حصل من معارك، ومصاعب، ومكائد من أعداء هذه الدعوة السلفية، لكن الله تعالى كان لها حافظاً؛ فكلُّ مَنْ رام إطفاء هذا النور أطفأ الله نوره، وناره، وجعله رماداً.

وقد أراد الله بحكمته أن تبلغ هذه الدعوة مداها، فأصبحت - بفضل الله - السبب الأول، والشعلة المنيرة التي أضاءت الطريق للحركات الإصلاحية التي قامت في شتى أصقاع الأرض دون مبالغة.

وقد كان رحمه الله! من أعلام الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث..

كان قويَّ العقيدة، عميق الإيمان، لا يخاف في الحق لومة لائم، شديد الغيرة على الدين، ذا وقار وهيبة، عظيم التقوى والزهد والورع، كثير التسبيح، طويل العبادة، كثير التهجد، مع حب للخير والبر والإحسان.

وإلى هذه المبادئ - بعد توفيق الله تعالى - يرجع نجاحه فيما قام به من جسام الأمور طول حياته الحافلة بجلائل الأعمال، وجميل الفِعال، رحمه الله رحمة واسعة:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

شاب .. بمائة شاب ... !!

كنت في المرحلة الثانوية أحمل هم إصلاح عائلتي التي عادة ما تجتمع نهاية الأسبوع شيبها، وشبابها، وأطفالها.

ويغلب على هذه اللقاءات الفساد!

فالكبار في قوقعتهم المعنوية (أحاديث مكررة، ونقاش عقيم).

والشباب ويا للأسف في غيِّهم سادرون (إما عند التلفاز والدش، وإما في لعب البلوت، ونحوه)، وأنا أحترق من داخلي!

كيف أؤثر؟! كيف أبني ؟! كيف أبدأ؟!

ميزتي أنني أصغر القوم!

فلو قُدِّر أن أدخل أيَّ مجلس فمكاني هو أطرافه، فالصدر كما يقال للصدر!!

ولكن لديَّ شعورٌ قوي يحثني، وإحساسٌ كبيرٌ يدفعني إلى أن أعمل بحيوية! نعم، وفور أن أبدأ العمل سيحصل النجاح – بإذن الله – ولكن كيف؟!

طبقت الحكمة البالغة:

ما خاب من استخار، وما ندم من استشار!

فاستشرت أحد الدعاة الذي نصحني بعدة نصائح، طبقتها فرأيت ثماراً عجيبة، **قال لي:** (في ظرف الثلاثة أشهر القادمة، احصر كلَّ ما يُلقى في مجلس الأسرة من موضوعات!!).

فعلاً بدأت التسجيل والمتابعة، **فرأيت أن مجالس أولئك الكبار تدور حول الآتي:**

الاهتمام بالنجوم، وأسمائها، وأبراجها، ومطالعها.

الاهتمام بالنخيل، وأنواعها، والمفاضلة بينها.

الاهتمام بالحروب القبلية القريبة، وضروب الشجاعة فيها... إلخ.

رجعت إلى المستشار وأوجزت له الأخبار.

فقال: أريدك أن تتبحر في هذه الفنون.

فقلت: لا أعرف.. لا أستطيع..

فقال: للتبحر في الفن الفلاني اذهب إلى المكان الفلاني، وسَلْ ذلك الإنسان، وللتعمق في التاريخ طالع الكتاب الفلاني... إلخ.

استجبتُ لقوله، وحرصتُ على ذلك أشد الحرص.

وفي اللحظة الحاسمة... أردت أن ألقي بسهامي، وأُظهر ما يُكِنُّ جَناني، فقد أعددت العدة، وعلى الله اعتمادي.

جلس الكبار، وحولهم الصغار...

فقال الأول: سيدخل الوسمي بعد أربعة أيام!

قال الثاني: لا بل بعد ثمانية أيام!!

فقال الثالث: لا أربعة أيام، ولا ثمانية، بل هو ستة أيام لا تزيد!!

فقلت بكل ثقة: سيدخل الوسمي بعد أربعة أيام، وإحدى عشرة ساعة، وعشرين دقيقة.

ضحكوا كثيراً، وتعجبوا!! كلام غريب، ودقة متناهية، فأخذوا كعادتهم بالاستهزاء والسخرية.

عقّبت قائلاً: نصَّ على ذلك العجيلي في موسوعته، وكذا ابن بسام ، وأكد ذلك الفلكي ابن مسند!!

وأخذت أوضح لهم الحقائق، واحدة تلو الأخرى.

وهنا انقطع الاستهزاء والسخرية، وحل مكانهما الإنصات، والانتباه..

وبعد ذلك صاروا يجدون عندي أشياء تهمهم، ومعلومات جديدة، وكلاماً رصيناً بدلاً عن قصصهم المكررة، وأحاديثهم المجترَّة!!

وحينها أصبح كل واحد منهم إذا تصل بأبي يذكره بموعد اللقاء، ويؤكد عليه قائلاً: لا تنس ابنك محمدًا !!

الآن تحقَّقت الوسيلة (وهي إيجاد مكانة لديهم).

بقي عليَّ تحقيق الهدف، وهو: (التأثير عليهم، وسقاية الخير الذي يوجد عند بعضهم).

في أحد الاجتماعات قلت لهم: ما رأيكم لو أحضرت عالماً في الفلك! سيعرض أشياء لم يرها الكثير منا طوال حياته عن المجرات والنجوم.. إلخ.

فأبدوا موافقتهم.

فكان أن كلمت أحد المختصين من حملة الدكتوراه في علم الفلك فوافق جزاه الله خيراً فجاء ومعه جهاز البروجكتور، وشاشة العرض الكبيرة، وحمل معه الصور، والخرائط الكثيرة.. فبدأ العرض؛ ثم أطفأ الأنوار، وأخذ يشرح بإطناب، والقوم يستمعون إليه بإعجاب، ويؤكد كلامه بالصور والمجسمات، ويوضح لهم المبهمات.

فما انتهى إلا والتفوا حوله طالبين جلوسه؛ فاعتذر لكثرة الأشغال، وتتابع الأعمال، فلما انصرف، قالوا: هذا الذي نريد!!

نريدك دوماً أن تحضر لنا مثل هذا الشخص المفيد!!

بعد فترة.. أحضرت لهم شخصاً مختصاً في العقارب والثعابين، وكان عنده العديد من الصور والأفلام، بل والكائنات الحية: السام منها، وغير السام، ينقلها معه في صناديق خاصة.

فلما رآه أولئك الرجال اندهشوا، ومن عجائب خلق الله سبحوا وكبروا وتأثروا، وأخذ بعضهم يشير إلى تلك الحية: هذه مثل التي لدغت أمي.

وآخر يقول: هذا العقرب التي لدغت أبي!!

وهكذا.. أحببني الكبار قبل الصغار؛ فبدأت أحرك المجالس بما يفيد من: مسابقات، وكلمات، وندوات، ومعلومات منوَّعة، وأطرح المشاريع الخيرية، وأوزع عليهم السيديات والكتيبات الإسلامية.

والآن...

وبعد مضي عدة سنوات صارت أسرتنا الكبيرة من الأسر الصالحة، وهجر كثير منهم حياة العبث، وأقبلوا على الجدِّ، وسلكوا طريق الرشاد.

فالحمد لله أولاً، وآخراً، وظاهراً، وباطناً.

وامرأة .. بألف ...!

طرح عليَّ أحد الدعاة الأفاضل مشروعاً متميزاً (وهو إنشاء معهد شرعي) في أحد الأماكن المحتاجة من بلادنا الإسلامية، وللأسف الشديد لم أكن أملك من حطام الدنيا شيئاً، ولم تطب نفسي أن أحرمها هذا الخير! فما الحلُّ يا تُرى؟ جلستُ حائراً كسيراً، كيف يفوتني هذا الخير؟!

(إنا لله وإنا إليه راجعون!).

وفجأة!! ظهرت في مخيلتي صورةُ عمتي الحبيبة (الكبيرة في السن، الشابة في الروح، والطموح)، رفعت سماعة الهاتف، **قائلاً:**

- عمتي الفاضلة، سارعي إلى الخير فهذا مشروع مبارك يكلف (٣٠,٠٠٠) - ثلاثين ألف ريال فقط!!

- فردت قائلة: ليس عندي شيء!!

- قلت: أرجوك! المشروع كبير، ونفعه عظيم، لا تحرميني، ولا تحرمي نفسك هذا الخير.. أرجوك سارعي؛ فالدعاة سيسافرون غداً.

- ترددتْ قليلاً، لكنها كعادتها في المسارعة إلى الخير ردت قائلة: حسناً اتصل بعد العشاء، وإن شاء الله سيكون المبلغ جاهزاً!

فعلاً بعد الصلاة مباشرة اتصلتُ بلهفة، **فردت قائلة:** المبلغ موجود!!

فرحت كثيراً، وانطلقت إلى بيتها مسرعاً، ولكن تعجبت حقيقة... **كيف استطاعت؟! وتساءلت: ماذا صنعت؟!!**

قالت بكل ثقة، **وهي تحمد الله تعالى:**

أولاً: اتصلت بأحد أقاربي وطلبت منه إقراضي المبلغَ (٣٠,٠٠٠) ثلاثين ألف ريال، على أن أعيدها في وقت لاحق، فما كان منه إلا أن أحضرها بنفسه، جزاه الله خيراً.

ثانياً: قمت بالاتصال بمساعدة (ابنة ابنتي) فأحضرت دفتر الهاتف الشخصي، وقمت بالاتصال على القريبات والصديقات، وأخبرتهنَّ عن هذا المشروع، وطالبتهنَّ بالمساهمة، ولو بالقليل، ولم نشترط أن يكون دفع المبلغ فوراً، وإنما توجد مهلةٌ من الأسبوع إلى الشهر!!

وفعلاً بحمد الله اجتمع المبلغ من أم عبدالله ٢٠٠ مائتا ريال، ومن أم محمد ٥٠٠ خمس مائة ريال، ومن أم صالح ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف ريال، وهكذا فَمَا انتهينا من الاتصالات إلا وقد جمعنا المبلغ كله!

والحمد لله رب العالمين.

عندما حققت النجاح

منذ صغري.. كنت حين يسألني أحد السؤال التقليدي: (ماذا تريدين أن تصبحي عندما تكبرين؟).

كنت أرد بكلِّ فرح وفخر: (طبيبة!).

ولازلت أذكر حين تمت استضافتي ذات صباح في الإذاعة المدرسيَّة – باعتبار أنني الطالبة الأولى على المدرسة – وتم سؤالي عن هدفي الأول.. فقلت: أن أصبح طبيبة جراحة، واستلذذتُ طعم الفخر على الطالبات؛ فأكملت.. وأتخصص في جراحة المخ والأعصاب!

وحين وصلت للمرحلة الثانوية.. كنت أرى هدفي يقترب أكثر فأكثر، وأنا أحرز المعدلات العالية.. وحين اقتربت من الصف الثالث الثانوي.. كنت في أهبة استعدادي، وتهيئة نفسي لإنهاكها في دراسة متواصلة تنتهي بالمعدل المطلوب بإذن الله.

وبالفعل.. بدأت منذ العطلة الصيفية بمراجعة المواد، وجمعت أكواماً من نماذج الاختبارات السابقة، وحرمت نفسي من كل متع الحياة.. فلا خروج، ولا نزهات، ولا تسوُّق ولا قراءة صحف، ولا غيرها...

كنت أضع الهدف أمامي في كل لحظة.. وهو أن أصبح الدكتورة (نهلة). الإنسانة التي يفخر بها الجميع..

وحين كنت أشعر بالتعب والإرهاق في الليالي الباردة التي كنت أسهر فيها لمراجعة المواد، وأجد سلطان النوم يداعب عينيَّ كنت أسرع بتخيل شكلي وأنا أرتدي المعطف الأبيض، وعلى عنقي السماعة اللامعة، فأجد نفسي تُشحن بالطاقة من جديد، وأعود لأغرق في قراءة الكتب...

وكلما اقتربت الاختبارات، ازداد الجهد والتعب، والإرهاق، والدراسة المتواصلة.. حتى حلَّ موسمها فعلاً، وأدَّيتها بشكل طيب ولله الحمد والمنة..

وحين انتهينا من الاختبارات كان الجميع يشعر بالسعادة والراحة.. إلا أنا في الرحلة التي لم تبدأ بعد.. كنت أنتظر المجموع والقبول في كلية الطب... وبالفعل.. ظهرت النتائج، وكنت أحمل تقديراً رائعاً.. ٩٨٪.. الجميع كان يغبطني على هذا التقدير المرتفع، والجميع كان متأكداً من دخولي لمجال الطب.. وبالفعل تقدمت إلى الكلية، وكان لابد من اجتياز المقابلة؛ فالمعدل وحده لا يكفي..

وحانت المقابلة.. وكنت مرتبكة جداً.. فحلم حياتي يتحدد اليوم – بإذن الله – سألوني أسئلة كثيرة.. لم أعرف كيف أجيب عنها.. إذ لم تكن لديَّ المعلومات الكافية، ولا قوة الشخصية التي تساعدني على مواجهة هذه الأسئلة المخيفة، أو التنصل منها بلباقة..

وخرجت وأنا أجر أذيال الخيبة.. فقد كان من الواضح أنِّي لم أحظ بإعجاب أيٍّ من الأساتذة الأطباء الذين قابلوني..

كانت صدمة قاسية جداً..

كنت كمن يبني قصراً كبيراً طوال سنوات مريرة. أَجتهدُ، وأَتعبُ، وأواصل الليل بالنهار؛ لأُكمل بناء حلمي الكبير.. ثم أراه يتحطم أمامي في دقائق بسيطة.. ويتحول إلى تراب.. أحلام زائفة...

عدت إلى البيت وأنا أعلم النتيجة مسبقاً، لكنِّي كنت أفكر في كيفية مواجهة أهلي وأقاربي؟! بل كيف أواجه نفسي وأقنعها بأنِّي لن أصبح الدكتورة نهلة؟! سأصبح فتاة عادية.. تدرس دراسة تقليدية، دون أن تُقدم للعالم شيئاً يُذكر.!

كيف سأوطِّن نفسي على حياتي الجديدة دون حلمي الكبير.. دون المهنة التي رَسمتُ حياتي بها.. دون صورة المِعطف الأبيض الذي كنت أرتديه في أحلامي..

بكيتُ طويلاً في غرفتي.. لكنْ بعيداً عن أهلي والآخرين، وكنت أُحاول أن أَظهر متماسكة، وغير مهتمة..

وعند ظهور النتائج لم يكن هناك جديد عليَّ.. فعلاً أنا لم أُقبل في الكلية..

أصابني نوعٌ من فقدان الشهية والضعف بسبب حزني الشديد، وبكائي أياماً طوالاً، لا أحادث فيها أحداً؛ حتى رفضت التقدم إلى أية كلية أو جامعة أخرى، فقد شعرت بأنه لم يكن هناك مجال يناسبني كالطب.. وقد ذهب أدراج الرياح.. فما الفائدة من دراسة لا أحبُّها، ولم أحلم بها يوماً!!

لكن أبي أصرَّ على أن أقدم على مجال آخر.. فهذه ليست نهاية المطاف، والحياة يجب أن تستمر رغم الصعاب والأزمات..

وبالفعل وتحت إلحاح أهلي، وتعزيةً لنفسي قدمت على كلياتٍ لم أفكر بها في حياتي.. ولا أعرف كيف

اخترتُ تخصص الفيزياء..!!

لم أكن أحبه كثيراً.. لكن شيئاً من كبريائي دفعني نحوه..

وحين بدأت الدراسة كنت أشعر بالنفور الشديد من هذا التخصص، ومن مواد الإعداد العام المختلفة التي ندرسها.. لكنِّي واصلت المذاكرة والدراسة، ونجحتُ.. بفضل الله تعالى.

وبعد عامٍ كاملٍ.. وجدت نفسي أدرس مواد التخصص الصعبة.. وبدأت أشعر بالتحدي.. كانت الدراسة كالنهر الجارف الذي إن لم تقاومه، وتنسجم معه فسيغرقك، وتخسر نفسك؛ لتعود لنقطة البداية.. لذا كان لابد من التركيز والانتباه المتواصل.. لكن بعد فترة قلَّ لديَّ هذا الشعور.. وبدأت أشعر... بشيء من الحب لهذا التخصص رغم الصعوبة التي تزداد فصلاً بعد آخر..

لقد شجع لديَّ التفكير المنطقي.. وكيف أحاول أن أحل المشكلات بطريقة علمية مخططة، وبهدوء، وعقل صاف.. مع الانتباه لكل العوامل المؤثرة مهما صغرت..

شيئاً فشيئاً.. بدأت أشعر أن لديَّ حلماً بعيداً في أن أنجز شيئاً من خلال هذا التخصص!..

نعم.. لماذا لا أقوم بتصميم اختراع ما.. نعم أنا فيزيائية.. والعلماء المسلمون برعوا في هذا العلم، ووضعوا أساسياته.. فلماذا لا نستمرُّ نحن أيضاً في هذا الطريق، ونكمل مشوارهم.. يمكنني ذلك – بإذن الله – لكن أحتاج فقط للعزيمة، والإرادة، والإبداع في التفكير بعد التوكل على الله.

أخلصت نيتي لله، وشرعت أضع مخططاتي لبعض الأفكار البسيطة.. كنت أمزقها، وأنا أضحك عليها أحياناً.. لكن شيئاً فشيئاً بدأت الأفكار تتضح أكثر وأكثر، وبدأت أعرف كيف أحوِّل الأفكار البسيطة لتخطيط منظم على الورق..

وذات يوم.. شرحتُ لأستاذتي الفكرة.. جهاز يقوم بتحلية المياه بطريقة كهربائية. ولم أكن أعرف كيف أصمِّم الدائرات الكهربائية الخاصة به.. انبهرت أستاذتي، وساعدتني، ووقفت بجانبي، وكذلك فعل أحد الأساتذة الذي راسلته طلباً للمشورة.. فأرسل لي الكتب اللازمة، ووضع دليل المسائل التي كانت مبهمةً عليَّ..

وبعد سنتين من التجارب المتواصلة.. ظهر الجهاز للنور.. وتمَّ تصنيعه ولله الحمد.. وكان

الجميع يتحدث عنه..

حصلتُ من خلاله على جائزة الإنجاز العلمي في الجامعة، وعلى شكر وتقدير خاص من إدارة الكلية.. كما تحدَّثت عنه الصحف والمجلات.. وشعرت بفخر كبير لأني استطعت أن أضع لي هدفاً آخر في الحياة، وأسير نحوه بعد أن ضاع هدفي الأول.. لم أقفْ عاجزةً، ولم أنتظر المنحة لتنزل عليَّ من السماء... بل أخذت بالأسباب، وشققت طريقي نحو النجاح متوكلةً على الله سبحانه...

وبعد تخرجي تم ترشيحي للإعادة في الكلية، وعملت معيدةً، ثم واصلت دراستي للماجستير.. وبعد أن نلت الدرجة...

تزوجت... لكن هذا لم يمنعني من مواصلة مسيرتي نحو ما وضعته في مخططاتي.. وهو نيل درجة الدكتوراه... وكنت أول فتاة سعودية تنال هذه الدرجة في جامعتي..

وبحمد الله لا أتوقع أنَّ شيئاً من هذا كان يمكن أن يحصل لو أني لم أخلع معطف الطبيبة، وبقيت أفكر فيه طوال عمري، وأندب حظي لأني لم أستطع الحصول عليه.

إن أجمل ما اكتشفته في رحلتي هذه هو أن الأشياء تبدو أجمل حين نحبُّها، ونرغب في النجاح من خلالها، كما أننا نحن من يُكَيِّف الظروف – بإذن الله – وليست الظروف هي التي تكيِّفُنا. فأنا كانت الظروف على غير رغبتي، ولم أُقْبَلْ في التخصص الذي أحببته.. لكنني حاولت أن أُحبَّ التخصص الموجود أمامي، وأن أبدع فيه.. حتى حققت النجاح - بتوفيق الله تعالى !

سعة الأفق

من نعمة الله – تعالى – على العبد (الحريص على إصلاح نفسه، وإصلاح مجتمعه) أن يرزقه سعة في الأفق، وعمقاً في النظر، فيتسع إدراكه، وينطلق في آفاق رحبة، ويؤتيه الله بصيرة نافذة؛ تجعله ينفذ إلى أعماق الحقائق وأبعادها، فيقدُرها بقدرها، ويضعها في مواضعها، ومما يعين على ذلك عدة أمور:

١- حرصه على طلب العلم والجدِّ فيه، وأخذه من أهله الأثبات الراسخين، والصبر على تتبع مسائله في مظانها المختلفة، وحرصه في بداية الطلب على أن يأخذ من كل فن (أصوله وقواعده) لكي تتكامل معارفه، وتتآلف علومه. والعلم هو الركيزة الأساسية التي تَبْني عقل الإنسان؛ وتجعله يستقيم على الجادة؛ ألم تر أن الجاهل يعيش في ظلمة فلا يبصر طريقه، فإذا عرض له عارض صار يتخبط ويضطرب؟!

بينما ترى صاحب العلم والفهم حاذقاً فطناً، يفتح الله عليه من أبواب العلوم ما يجعله قادراً على رؤية أبعاد واسعة لا يراها مَنْ هو دونه.

٢- تنوُّع ثقافاته، وتعدد قراءاته في مختلف أنواع المعرفة العلمية؛ فالمتخصص في الدراسات الشرعية – مثلاً – لا ينحصر في هذا التخصص؛ بل تمتد عنايته واطلاعه إلى الدراسات الأدبية والفكرية والإنسانية الأخرى؛ فهو ينتقل في حقول العلم والفكر، ويمتص رحيق الأزهار بألوانها، وأشكالها المتنوعة، وهكذا بقية المتخصصين في فروع أخرى من العلم.

٣- كثرة محاوراته، ومجالسته لأهل العلم والرأي وأرباب الخبرة؛ فبالحوار العلمي الجاد تتسع مدارك الإنسان، ويقف على أشياء قد لا تخطر بباله على الإطلاق.

وقديماً قال **عمر بن عبدالعزيز** –رحمه الله–: (إني وجدتُ لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم)(١).

وقال الزهري – رحمه الله -: (العلم خزائن، ومفاتيحها السؤال)(٢).

وقال أيوب السختياني - رحمه الله -:

(إنك لا تعرف خطأ معلمك؛ حتى تجالس غيره)(٣).

(١) المعرفة والتاريخ (١/١١٦).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٥٣٤).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٦١٣).

ولذا كان السلف يحثون طالب العلم على الرحلة والسفر لملاقاة العلماء، واكتساب مختلف أنواع العلوم والمعارف

وفي هذا يقول ابن خلدون -رحمه الله (على كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها)(١)، ولاشك أن الداعية أولى وأحرى أن يُطَبِّقَ ذلك؛ لما فيه من عظيم الفوائد.

٤- حرصه على التأمل، والنظر، والتفكر، وشحذ الذهن، وتنشيطه في دراسة المباحث والمسائل. والفكر الحيّ المعطاء هو الفكر المتَّقد الذي ينبض بحيوية ونشاط، فلا يكسل، ولا يعجز، ولا تصيبه السآمة والملل، وكثرة التفكر تنمي الملكة، فـ (كثرة المزاولات تعطي الملكَات، فتبقى للنفس هيئة راسخة ومَلكَة ثابتة)(٢). كما أنَّ الفكر المنظم هو الذي يبني العقل، ويجعله يستقيم على الطريق، وأما العشوائية والارتجالية في التفكير فإنها تشتت الذهن، وتفرِّق الهمم.

أما الإنسان الذي لا يفكر، أو يفكر بطريقة رتيبة أو عشوائية، فإنه بالضرورة إنسان عاجز لا يقوى على إعطاء التصور الصحيح للمسائل، بل قد يقوده تفكيره أحياناً إلى التخبط والاضطراب.

٥- اطلاعه على التجارب والخبرات البشرية قدر الطاقة، واختزانها في عقله لكي يستطيع توظيفها التوظيف الأمثل إذا دعت الحاجة إلى ذلك، والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها.

٦- تحررُّه من التقليد الأعمى بكل صوره وأشكاله؛ فهو يستفيد من أشياخه وأصحابه وغيرهم، ثم ينطلق بفكره الحرّ، يلتمس مختلف السبل بعقلية ناضجة مستقلة، وليس كلُّ الناس يقوى على ذلك؛ فأصحاب الفكر هم المعادن الكريمة النادرة، وهم القادرون على ريادة الأمة، وأما عامة الناس فهم همج رعاع أتباع كل ناعق، وبين هؤلاء وأولئك أصناف من الناس أخذوا من كل فريق بطرف.

(١) مقدمة ابن خلدون (٥٤١).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٨٤).

الفصل الثاني

اهتمام الزوجة بزوجها

الدعوة بين الزوجين

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم: ٢١).

الزواج فطرة بشرية، وسنة كريمة، وطريقة حميدة...

مزاياه عظيمة، ومعانيه سامية، وأغراضه نبيلة.. حاول الشيطان إفسادها حيناً، أو إضعافها في أحايين كثيرة!

والمسلم والمسلمة يوقنان بأن الزواج حب وتعاون، وإيثار وتضحية، سكن ومودة، وعلاقة شريفة.

فهو الطريق الذي سارت فيه الإنسانية...

من ذكر وأنثى بدأت حياة البشرية.. ومن بيت واحد نبعت الإنسانية.. بيت عماده (آدم وحواء) تفرعت منه بيوتات، وقامت مجتمعات، فتبارك الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً...

فما أجمل أن تكون الحياة الزوجية طريقاً إلى جنات الخلود في سعادة أبدية، يعين الزوج زوجته على طاعة ربها، والبعد عما يسخطه، والزوجة كذلك تبصره وترشده وتعينه!

والزوج دائم التأثير على الزوجة، ولكنَّا سنقرأ طرفاً من تأثير الزوجة على هذه الحياة الزوجية التي جسدت إمكانية العمل لها مهما كانت ظروفها، خاصة مع صدق النية، وحسن الالتجاء إلى رب البرية .

كيف تؤثرين على زوجك؟

حينما كنتِ تسرحين بخيالك مع فارس الأحلام، كنتِ دائماً تحلمين به رجلاً صالحاً، حتى تزوجتِ على ذلك الأمل الجميل، ثم اكتشفتِ الحقيقة المرة فماذا تفعلين؟!

كنتِ فتاةً غير مستقيمة حتى منَّ الله عليك؛ فاهتديت إلى صراطه المستقيم، فأحببتِ أن يكون منـزلُكِ روضةَ طهر ونقاء، ورغبت في التأثير على زوجك؛ كي يسير على الطريق.

فماذا ستفعلين ؟!

ربما تعانين من زوج يتأخر عن الصلاة، أو يترك بعضها تهاوناً، أو يشرب الدخان، أو يرغب في مشاهدة الدش، أو سماع الأغاني، أو السفر إلى الخارج، أو حليق اللحية، أو بذيء اللسان، أو بخيل أو.. أو... وترغبين أن يُقِرَّ الله عينك بهدايته، وترين فيه ما تحلمين به...

فإليك نصائح المجرِّبات اللاتي عشن تجارب مُرَّة مع أزواجِهنَّ، وكلهن نجحن في تجاوزها، **وكلهن يقلن:** (الآن زوجي كما أحب).

لماذا هذه القصص؟!

١. تسلية وشحذ همة كل زوجة تواجه مشكلات مع زوجها، فتعرف بأن الكثيرات مثلها فتطمئن نفسها، وتنشط لدعوة زوجها.

٢. فيها جرعات كبيرة من الصبر والأمل نقذفها بإذن الله في قلوب المترقبات للحظات الفرج، والمتلهفات إلى السعادة الزوجية.

٣. فيها صورة صادقة ملموسة لثمار الدعوة إلى الله، والصبر، والإلحاح بالدعاء، ومجاهدة النفس.

زوجي والصلاة!!

مشكلتي مع زوجي أنه لا يصحو لصلاة الفجر والعصر حينما يكون نائماً، ولم أكن أعلم عنه ذلك قبل زواجي؛ لأنه مُدح لي كثيراً، تضايقت في البداية، ولكنِّي قررت الإصلاح، وبصراحة كانت ردةُ فعل زوجي سيئة، وليس هذا بمستغرب على شخص نائم؛ فكنت حينما ألحُّ في إيقاظه يلجأ للعناد، ويقول: عناداً لك لن أستيقظ، وأحياناً يدفعني بقوة، ويطردني من الغرفة.

معاملة زوجي لي طيبة دائماً، لكنه اعتاد ألا يزعجه أحد عندما يكون نائماً، فاستنكر ذلك مني، كان تأثير المحاضرات التي أسمعها، أو أحضرها في المساجد قوياً عليَّ، مما جعلني – بفضل الله تعالى – محافظةً على صلاة الفجر، لا تفوتني أبداً، وثابتةً على ديني، لا يهزني شيء، وأنا أرى أن أول خطوة في طريق الإصلاح، هي إصلاح النفس أولاً.

فإن كان زوجك يراك قدوة حسنة، لا تفوتك صلاة الفجر أبداً، فإن هذا دافع قوي له للاقتداء بك، ثم: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (البقرة:٤٤).
ولابد من الاستمرار كلَّ يوم في إيقاظه؛ حتى ولو لم تجدي نتيجة، بل وحتى لو واجهتِ منه معاملةً سيئة، لابد من المداومة، وإياك واليأسَ فإنه بداية الفشل، وفيه سوء ظن بالله تعالى، ثم لا ينبغي أن تسيري في هذا الطريق الشاق إلا وأنت متسلِّحة بالدعاء، وصدق اللجوء إلى الله، والثقة بوعده الكريم، بإجابة مَنْ دعاه.

وأخيراً تذكَّري أنه زوجك الذي لو أُمِرَتِ بالسجود لغير الله؛ لأُمِرت بالسجود له.

فعليك أن تُحسني الأدب عند الحديث معه، وتبتعدي عن شتمه أو لومه وعتابه، بل أكثري من تشجيعه، ومدحه، وقابلي سيئته بالحسنة، فإني بالرغم مما كنت أواجهه منه أثناء إيقاظي له لم أكن مطلقاً أغضب منه، أو أهجره، أو أرد له السيئة بمثلها، بل كنت أتحلَّى بالصبر، وأُسمِعُه من الكلام أطيبه وأعذبه، ثم إنِّي أحاول أن أذكره دائماً كلما حانت فرصة بعظم الأجر في أدائها، وعظم الذنب في تأخيرها، ولا أجعل ذلك في كل وقت حتى لا ينفر مني.

أختاه: ألا ترين أن تلك الطريقة تجعله يفكر في نفسه، لماذا تُصِّر على إيقاظي رغم رفضي كل ليلة، ورغم عنادي لها، ورغم ما تجده من معاناة بسببي ؛ ثم ما يرى منك من خلق كريم واهتمامك به في ملبسك، وبيتك، وأطفالك، أظن أن هذا سبب كبير يدفعه إلى طريق

الهداية – بإذن الله –، وها هو زوجي الآن ينهض لصلاتي الفجر والعصر بنفسه دون أن أوقظه، ولم تفته صلاة بعد ذلك في المسجد أبداً، بعد معاناة استمرت سنة كاملة، فالحمد لله، وأسأل الله لي وله ولكم الثبات.

زوجي المدخن

كان من شروط موافقتي على زوج المستقبل ألا يكون مدخناً، فتقدم إليَّ شاب من عائلة طيبة، ومحافظ على صلاته؛ فوافقت عليه، وبعد عقد القران عرفت أنه مدخن؛ فأُصبت بصدمة شديدة، لكني لم أفكر في التخلي عنه، بل فكرت ماذا أفعل معه؟ عقدتُ العزم أولاً على أن أجعله يترك التدخين، ولا أدع شيئاً يثني عزمي عن هذا، ثم رفعت كفِّي إلى السماء، ودعوت الله تعالى لي وله بالعون والسداد.

وفي ليلة الزفاف وبعد أن ذهبنا إلى شقتنا أخذت أنتقل بين الغرف فوجدت طفاية سجائر وبها بقايا فأظهرت له إني لا أعلم أنه مدخن، فقلت له: (ما هذا؟ سجائر في بيتي؟! بعد الآن لا أريد رفاقك الذين يدخنون أن يدخلوا بيتي)، ثم أخذت الطفاية، وألقيت بها في سلة المهملات، فتلعثم في بادئ الأمر، إلا أنه وعدني بتلبية طلبي، وفي الصباح أخذ علبة السجائر والولاعة وأخفاهما في السيارة، فكان كلما اشتاق لهذا السم نزل بحجة أو بأخرى، وعندما ينتهي، ويعود برائحة الدخان الخبيثة، كنت لا أتغاضى عن أي شيء أراه أو أشمه في ملابسه، فكنت أستنكر رائحة الملابس، وأبعدها، وأدعو للمدخنين بالهداية، وأحمد الله (وهو يسمع) أن زوجي لا يدخن، وفي كل مرة تقع عيني على بقايا سجائر بالسيارة، أو أشم رائحتها يُكثر من الأعذار أنه أوصل فلاناً، أو علاناً، وداوم على هذه الحال مدة، حتى بدأ ينقطع عنه بالتدريج، ثم لم يعد إليه بتاتاً، والحمد لله وقد لاحظ بعض أقاربه أنه لا يدخن، فسألوني: ما الذي فعلتِه؟! فأنكرت معرفتي بتدخينه، وقلت لهم ربما كانت نزوة.

تدرج مبارك

كنت بحمد الله مستقيمة على أمر ربي، وكنت أحلم بزوج صالح يعينني على طاعة الله، توفِّي والدي؛ فتولى إخوتي أمري، تقدَّم لي شابٌّ يعرفونه ويحبونه، ولذا مدحه إخواني لي كثيراً، وحاولوا إقناعي بتحسين صورته، حتى اقتنعت، وقبلت به، وبعد عقد قراني رأيت صورته فضاقت بي الأرض لما رأيته حليق اللحية.

فغضبت على إخواني، وقلت أنتم تعلمون أن شرطي في زوجي أن يكون صالحاً، فقالوا: إن في الرجل مزايا كثيرة تغطي عيوبه، ولن نرده من أجل لحيته بعد أن عقد قرانك، ورفضوا محاولاتي رفضاً باتاً.

فاستعنت – بالله تعالى – وبدأت أهيىء نفسي للتكيف مع ذلك الزوج الذي لم يكن يوماً حلم حياتي، حاولت إقناعَ نفسي بأنه أصبح زوجي الآن، وأن بإمكاني التأثير عليه، وتغيير ما أرى من منكر عليه إذا تمكنت من كسب قلبه، ولن أكسب قلبه إلا بشيء واحد – بعد عون الله تعالى – وهو حسن خُلُقي، وطيب عشرتي. **وتذكرت حديث رسول الله ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»**(١).

فقلت: لو لم يأتني من ذلك إلا هدايته؛ ليكون في ميزان حسناتي لكفى!

وحينما تزوجت جعلت سلاحي القويَّ هو الحب؛ فكنت أظهر له دائماً حبي الصادق، وشوقي الدائم، ولا أفتر عن إظهار مشاعري، ولو كنت غاضبةً منه، بل حينما أغضب أحاول أن أكتم غيظي، وأبتسم في وجهه حتى إذا قام من عندي جلست أبكي دون أن يعلم، وكنت أحرص وبشدة على طاعته في كل شيء، ولو كان شيئاً أكرهه.

وإذا أردت نصحه وضعت يدي على وجهه، وأنا أقول: إن وجهك جميل، ولكني على ثقة بأنه سيصبح في عيني أجمل لو زينته باللحية السوداء التي هي سمة الرجولة في نظري.

كنت أذكره بحكم حلقها، وأحاول أن أضع في مكان جلوسه فتاوى عن حكمها، ولا أطلب منه قراءتها، فأجده من باب الاستطلاع يأخذها، ويقرؤها وبعد خمسة أشهر من زواجي اكتشفت أنه يدخن، وأن إخوتي كانوا على علم بذلك قبل زواجي، فاستعنت بالله تعالى، وقلت: لابد من التدرج معه، سأحاول معه ليطلق لحيته أولاً، ثم بعد مدة مَنَّ الله تعالى عليه بالهداية؛ فقرر عدم حلقها، وثبت على ذلك بفضل الله تعالى، ثم بدأت أقول له بعد ذلك: انظر إلى شكلك في المرآة ألا يبدو غريباً أن تجد رجلاً ملتحياً يبدو على وجهه سمات الصلاح ويدخن؟! ثم مع كثرة ما أنفره منه،

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٢٤)، ومسلم برقم (٤٤٢٣).

وأقول له: والله لا يليق بك، وأنت الرجل الصالح المحافظ على صلاتك، وفيك كذا، وفيك كذا؛ أن تنجس فمك الطاهر بهذا الخبيث، أو أن تسمع الأغاني، أو تفعل كذا وكذا، وكنت دائماً أكثر الدعاء له وبالذات في آخر الليل: بأن يصرف الله قلبه عن التدخين، وعن جميع المحرمات، وقد استجاب الله دعائي؛ فأوقع بغضه في قلبه؛ فعزم على تركه، واستمر يجاهد نفسه، حتى تركه تماماً، بل هو الآن مؤذن أحد المساجد في مدينة الرياض.

قطيعة رحم

انفصل والداه، وهو لا يزال في بطن أمه، وخرج إلى الدنيا يتيماً، وأبوه لا يزال على قيد الحياة، تولَّت أمه كامل رعايته دون تدخل من الأب في نفقة أو توجيه، ولا حتى رؤية، فقد كان والده يسكن في مدينة أخرى، وشدة الخصام بينهما جعلت الأب لا يأتي لزيارة ابنه، ولا الأم تبحث عن الأب، أو تشجع ولدها على زيارة أبيه، ومرت السنون على هذا الطفل حتى كبر؛ وأصبح شاباً ناضجاً، ولم يقابل أباه سوى مرتين في عمره، أو ثلاث مرات، تقدم لخطبتي، وتزوجنا دون علم والده، ولم أكن أعلم بذلك، ولما سألته عن أبيه أخبرني بحقيقة القطيعة بينهما، فلم يهنأ لي بعدها بال، كيف وزوجي قاطع رحم، بل عاقٌّ لوالده؟؟!.

كيف سيرضى الله عنا، ونحن رضوان بهذا العقوق، وتلك القطيعة؟! بل كيف أرجو برَّ أولادي وأبوهم مقاطع لوالده؟! حاولت إقناعه بزيارة والده، ولكن بأسلوب الزوجة المحبة، وليس الناصح الآمر، وبينت له الوعيد العظيم في ذلك، وحذرته من أن يُحرم الجنة بسبب ذلك؛ **لأن الرسول ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع..»**(١)، **وذكَّرته بعظم حق الوالدين، وأن الله تعالى ربط حقهما بحقه:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الإسراء:٢٣). فكان في كل مرة يردُّ عليَّ: هو الذي باعني، هو الذي أذاقني طعم الحرمان.

ما عرفت معنى الأُبوَّة، ولا ذقت طعمها، فقلت له: إن كان أضاع حقك فليس هذا بمسوِّغ شرعيٍّ لك أن تُضيِّع حقه، فحقه لا زال واجباً في عنقك، ستلقى عند الله أجراً عظيماً، وربما تكون خيراً منه، **فرسول الله ﷺ يقول: «لا يحلُّ لرجلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**(٢)، ستكون قدوة طيبة لابنك الذي يسكن الآن في أحشائي، وترجو برَّه.

واجه كل كلماتي تلك بالرفض التام في البداية، ثم مع كثرة تكراري وإلحاحي كلما حانت فرصة بدأ يلين، مع أني لا أغفل ساعة عن ربي وأدعوه دائماً أن يهديه لزيارة والده، ويُنهي القطيعة بينهما، وقد عوَّدنا على كرمه وإحسانه، **وهو الذي قال - جل جلاله وتقدست أسماؤه -:** ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

ثم منَّ الله عليه، وذهب لزيارة أبيه، وارتمى في حضنه، وقبل رأسه لأول مرة منذ كان طفلاً، فكان لتلك الزيارة أثرٌ عجيب في نفس أبيه الذي ما استطاع بعدها أن يتأخر عن ابنه؛ فأصبح بينهما تزاور كبير، وعلاقة حميمة، واستمر ذلك الابن البار يكثر من برِّ والده، ويصله بالهدايا، والأموال في كل مناسبة!

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٢٤)، ومسلم برقم (٤٤٢٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦١٣) ومسلم برقم (٤٦٤٣).

زوجي والدش

أبدى زوجي رغبته في إدخال الدش في منـزلي؛ فرفضت رفضاً باتاً، ولعله قال في نفسه بعد ذلك: إذا اشتريته سترضى بالأمر الواقع، ثم فاجأني به عند باب داري، وقد أحضر معه عمالاً لتركيبه، فأسرعت بجمع أغراضي في حقيبتي، وخرجت إلى الشارع، وجلست على عتبة باب منـزلي، وحقيبتي بجانبي، وقلت له: إن دخل هؤلاء العمال منـزلي؛ فلن أدخله بعدهم أبداً، فأمر عماله بالخروج، ولم يعودوا مرة أخرى!!

جحيم المخدرات

لستم في حاجة إلى أن أطيل عليكم في قصتي؛ لأنكم بالتأكيد شاهدتم كثيراً من أمثالها في التلفاز، ولها في الإذاعة أيضاً نصيب، وكذا في المجلات والصحف والمحاضرات، إنَّها حكاية معاناتي مع زوجي المدمن، حكاية مأساة طويلة.

قبح الله المخدرات!

فقد سلبتني زوجي؛ فقضيت زهرة شبابي أرملة، وقد حَرمَت أطفالي من أبيهم، فمرت سنيٌّ طفولتهم، وهم أيتام، وقد تتساءلون بعجب: فمن هو ذلك الرجل الذي نراه يدخل بيتكم كل يوم ويخرج؟!!

أتدرون من هو؟! إنه الشبح!! شبح يسكن في بيتي، كشبح اليهود في شوارع فلسطين: ظلم، واعتداء، وحرمان، وفزع، ورعب، وقلق، واكتئاب.

لن أذكر لكم عدد المرات التي ضربني وصغاري، لأني لا أحصيها، لن أحدثكم عن حالتنا النفسية المتردية، وأسباب الشحوب الذي يلوِّن وجوهنا، والرعب، والفزع الذي تستطيع أن تلمحه بمجرد نظرة خاطفة في عيوننا، والفقر والحاجة التي أصبحنا نأكل منهما كل يوم ونشرب، ناهيك عن حديث الناس، وسمعتنا السيئة، وبكاء صغاري الذي يفتت كبدي، ويا ترى ما الذي جنوه ليُحرموا معنى الحياة الحقيقية التي تستحقها براءتهم وطفولتهم الجميلة؟!!

لقد كان منزلي كالتنور، كلما دخله ذلك الوحش أوقد ناره، وأشعله، ولكني أيقنت أنه ابتلاء من الله، وقد اُبتلى من هو خير مني فصبر وشكر، فلابد من الصبر، ولكنه الصبر العظيم الذي جعلته زاداً لي على طول هذا الطريق.

لقد خسرت زوجي، ولكن لي أمل في الله أن يعود، وما ذلك على الله بعزيز! حقيقةً ما كنت أنظر إلى حاله؛ حتى لا أفقد الأمل، بل كنت أنظر إلى عظم الرب – جلَّ جلاله – وقدرته، وواسع رحمته؛ فيتسع الأمل في أفقي، ويزداد؛ فأتوجه إلى الله بالدعاء كلَّ حين بلا يأس أو فتور.

أمَّا ليلي الكئيب فقد ودعت النوم فيه منذ زمن، إلا ما قلَّ، وإنما كنت أقطع وحشته، ووحدته، وظلمته، وأرَقه بتلاوة القرآن، ومناجاة الرحمن؛ وأنا أدرك أن فيه ساعةً لا ترد فيها دعوة، فكنت أدعو له كثيراً بالهداية، وأن يعافيه الله من هذا البلاء، وأن يخلف عليَّ في ذريتي،

ويعينني على حسن تربيتهم.

حاولت أن أنفض من قلبي همَّ هذا الزوج؛ حتى لا يضنيني، وأشغلته بأطفالي، وجعلت أكبر همي تربيتهم تربيةً صالحة تقيهم – بإذن الله – من الوقوع في الزلل، كنت أتقرب إليهم بحبي المتدفق؛ حتى أعوِّضهم حنان أبيهم؛ وحتى أكسب قلوبهم، فيحترمون رأيي، ويستمعون لقولي، لعلِّي أظفر بصلاحهم.

كنت حريصةً أشد الحرص على تنشئتهم على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، ألحقتهم بحِلق التحفيظ في المساجد، وعلى المحافظة على الصلاة وبالذات صلاة الفجر؛ حتى إنهم عُرفوا في حينها بذلك، والحمد لله حينما يرجع زوجي إلى البيت فجراً عائداً من جلسات السُّكر، لم يكن بحاجة إلى مفتاح؛ لأنه يجدني كلَّ يوم خلف الباب، أرقب صغاري، وهم ذاهبون إلى المسجد في ظلام الليل، ووحشته، بلا أب يشعرونَ بالأمان بجانبه سوى إيمانهم بالله، ثم إحساسهم بعينيَّ اللتين تسيران خلفهم، حتى إذا اطمأنَّ قلبي عليهم حمدت الله – عز وجل –، ثم بسطت سجادتي في ساحة المنزل قريباً من الباب؛ كي أسمع قرع نعالهم، وهم مقبلون، فأبادر إلى فتح الباب؛ حتى لا أتأخر عليهم.

كنت أُسمعهم صوتي، وأنا أدعو الله لوالدهم بالهداية، وأحاول أن أملأ قلوبهم بأمل كبير في توبته، واعتزازاً بأنفسهم الطاهرة، ولا أجعل من والدهم عائقاً لكل طريقٍ صالح يريدون السير فيه.

وكثيراً ما كنت أقول لهم: إن أباكم رجل طيب، ولكن هذا السمَّ غيَّره، وما يصدر منه لا يصدر بقصد؛ لأنه فاقد لوعيه، وحينما يتركه سترون بأن والدكم رائع حقاً، فارفعوا أيديكم، وادعوا له فإنه مريض، كنت كلما جلس عندي هادئاً قبل أن يغادر ليرتشف ذلك السم أجدها فرصة كبيرة لأهمس في أذنه بكل لطف؛ وأذكِّره بحق جسده عليه، وبأنه ما زالت هناك فرصة للشفاء، وأرهبه من الموت على هذه الحال، وسوء الخاتمة، وأهديه بعض المطويات عن هذا الموضوع، أُذَكِّره بجمال عهدي السابق معه، بحبي وأطفالي له، وشوقنا إليه، وأن مكانته ما زالت محفوظة في البيت وفي قلوبنا، لعليّ بحديثي هذا أستخرج الخير الكامن في قلبه، وأشجعه عليه، وأنا أراقب بعد كل جلسة صدى حديثي، ولكن...!!

ها هي سنيني العجاف تطوي لياليها وأيامها، كما أقطع صحاري جرداء مقفرة، طال انتظاري حتى خشيت على نفسي من التخاذل..

آه: ما أطول الانتظار على مَنْ يتألم!

وفي يوم أذن الله فيه بالفرج، فقد عَظُمَ البلاء في جسد زوجي، إذ بلغ به الإعياء مبلغاً شديداً، حُمل على إثره إلى مستشفى الأمل؛ ليرقد على ذلك السرير الذي أظنه تعذب لشدة عذابه، ووقفت بجانبه أدعو له، وأشجعه على الصبر والاستمرار، وأن العافية قريبة، وأذكره بأني وأطفاله في انتظار عودته بكل شوق، وبعد أشهر خرج إنساناً آخر، فحاولت بعد خروجه أن أكون بقربه، لا أفارقه إلا نادراً، وحاولت أن أُشغل حياته بما أحلَّ الله من متع؛ حتى أفوت الفرصة على رفاق السوء، كي لا يصيدوه مرة أخرى مع دعائي الدائم له.

وها هو زوجي الآن رفيق القرآن، والقرآن أنيسه كلَّ ليلة، بعد أن كان ليله سكراً وعُهراً؛ فلله الفضل والمنّة، وأسأله تعالى أن يمن علينا بالثبات!

نِعم الزوجة

استيقظت من نومها في الساعة السابعة صباحاً، أعدت الإفطار لزوجها، وهيأت له أغراضه. وحينما غادر للعمل بدأت ترتب البيت، وفي الساعة الثامنة استيقظ الأطفال، وأعدت لهم إفطارهم، وجلست تطعمهم، وعندما انتهوا غسلت لهم، وأبدلت بعض ثيابهم، اتجهت لأرجاء البيت تنظِّف وتلمِّع، وفي الساعة الحادية عشر اتجهت للمطبخ، وفي هذه الأثناء شعرت بدوران في رأسها.. تذكرت أنها مع كثرة المشاغل لم تأكل شيئاً.. تناولت قطعة خبز، ووضعت بداخلها الجبن.. ثم عاودتْ الإعداد للطبخ، أدتَّ صلاة الظهر، ورجعت للمطبخ.. خرجت منه مراراً لتراقب حال أطفالها، أو تستجيب لنداءاتهم.. أتمت الطهي، وعلى عجل ذهبت لتستعد لاستقبال زوجها بثياب نظيفة، ورائحة جميلة.. جاء الزوج، ووضعت طعام الغداء.. ثم قامت تنظفِّ المطبخ وصالة الطعام.. وبعد صلاة العصر أعدت له الشاي والقهوة.. ولما خرج بعد صلاة المغرب من البيت، عادت من جديد تنظم وتنظف ما أفسده الصغار.. وبقيت إلى الساعة العاشرة وهي تنتقل من عمل لآخر.. وبعد تناول الصغار طعام العشاء، واستبدال ثيابهم.. جلست تتهيأ لاستقبال زوجها... بعد أن أعدت له طعام العشاء.

إن هذه المهام التي تقوم بها هذه الزوجة ليست قليلة ولا بسيطة.. بل إن فيها من المشقة الشيء الكثير، ولاشكَّ أنها لأجل القيام بها تفقد جزءاً عظيماً من راحتها وأُنسها، وتختلف مقاصد النساء في القيام بهذه المسؤولية العظيمة، فمنهن من تطمع في الحصول على المدح والثناء ممن حولها: كالأهل، والجيران، والمعارف، ومنهنَّ من تهدف إلى كسب رضا زوجها كي لا يجد حُجةً للزواج بامرأة أخرى، ومنهن من تريد نيل رضاه ليعطيها ما تحب من المال والدلال، ومنهنَّ من تظنُّ أنَّ هذا هو واجبها، ولا منفذ لها منه...، ومنهنَّ فئة ما أحلى مرادها! وما أغلى هدفها! وما أسمى غايتها! إنها مَنْ تعمل لله – عز وجل – فهي تؤدي حقَّ زوجها، وترعى أولادها، وتهتم ببيتها، وتقوم بكل مسؤولياتها طمعاً في الأجر من المولى – عز وجل – لأنها تعلم أنَّ قيام الزوجة بواجبها يمنحها أجراً عظيماً، يقول – عليه الصلاة والسلام –: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أيّ أبواب الجنة شئت**»(١) **وكما قال** ﷺ: «**أيُما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**»(٢).

وروى الحُصين بن محْصن– d – أن عمةً له أتت النبي ﷺ في حاجة ففرغت من حاجتها، **فقال لها النبي** ﷺ: «**أذات زوج أنت؟**» **قالت:** نعم، **قال:** «**كيف أنت له؟**» **قالت:** ما آلوه إلا ما عجزت عنه، **قال:** «**فانظري أين أنتِ منه؟ فإنما هو جنتك ونارك**»(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٥٧٣).
(٢) أخرجه الإمام الترمذي برقم (١٠٨١) وابن ماجه برقم (١٨٤٤).
(٣) أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٦٠٨٦).

إن النيَّة هي الأساس في العمل يقول - عليه الصلاة والسلام -: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»(١)

فالقضية على قدر عالٍ من الأهمية، ولكنها، وللأسف تغيب عن أذهان بعض النساء، والمطلوب أن نهتم بترسيخ مفهوم (الاحتساب) لديهنَّ في كل الأمور، ولاسيما في هذه القضية بالذات، وذلك لأنَّ هذا يكسبهن أجراً عظيماً؛ ويجعلهنَّ يعملن في بيوتهن ويخدمن أزواجهن، ولا ينتظرن جزاء ولا شكوراً، فالزوجة إذا أدت ما عليها باحتساب وصبر؛ فإنها تؤجر أجراً عظيماً، وإن رأت من زوجها تقصيراً أو تغيراً لا تحزنُ على إحسانها، ولا تندمُ على حُسن عشرتها؛ فهي تضع نصب عينيها الآخرة، **وقد قال - عليه الصلاة والسلام -: «من كانت الآخرةُ همَّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له»**(٢)، لذا فإن المأمول أن يَبْذِل الناصحون والمربون مساعيهم الحثيثة من أجل توجيه النساء ونصحهن؛ حتى يرعين بيوتهنَّ وهنَّ محتسبات، لينلن ثواباً عظيماً.

ولا يخفى أن حسن التبعل من أعظم أسباب قبول التوجيه والنصح، لذا فإن الزوجة الداعية تتحمل من زوجها ما لا تحتمله زوجة أخرى؛ لأنها ذات هدف، ولابد لبلوغ الهدف من حسن التخطيط والصبر الجميل.

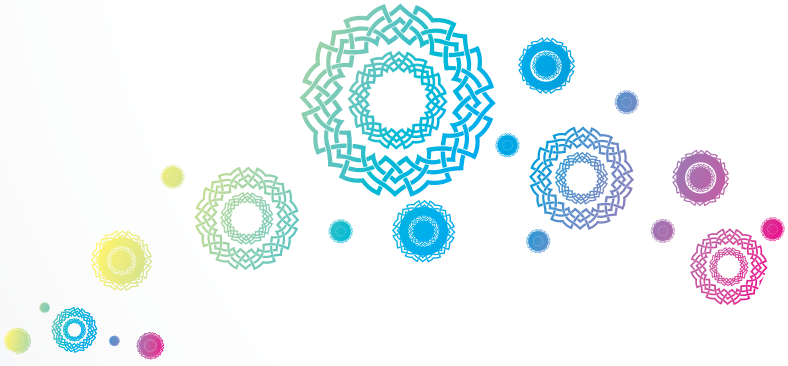

(١) أخرجه البخاري برقم (١).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٨٩).

نصائح ذهبية للزوجات

١. **لابد أن تعلقي قلبك بالله تعالى**، وتتيقني أنه على كل شيء قدير، وتحسني الظن به، وتثقي بوعده، فلا تقولي مثلاً: هذا الرجل لا ينفع معه شيء، ولا يمكن تغييره، أو قلبه قاسٍ، أو غير ذلك، فأنت تتعاملين مع الله الذي قلوب العباد بين يديه – سبحانه – يقلبها كيف يشاء، وهو على كل شيء قدير، وإذا وعد لا يخلف وعده، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ويرى منهم مجاهدة، وعملاً صالحاً، وصبراً، ودعاء ورجاء.

فالصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يائسين أشد اليأس من إسلام عمر بن الخطاب – d – لما يَرَوْنَه من جبروته، وعظيم بطشه؛ وعظيم بغضه للإسلام.

ولهذا كانوا يقولون: (لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر!!)، ولكن النبي ﷺ الذي سمعهم يقولون ذلك، كان يتعامل مع ربه القادر على كل شيء، فدعا الله؛ فاستجاب الله له، وأعز الإسلام بإسلام عمر بن الخطاب، بل ذاك الذي لا يُرجى إسلامه أصبح ثاني الخلفاء الراشدين!

٢. **الدعاء الدائم بلا انقطاع**، وبلا استبطاء للإجابة، مهما طالت المدة، **مع تحرِّي أوقات الإجابة**: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠).

٣. **مجاهدة النفس**: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩). فجاهدي نفسَك في عدم الانزلاق فيما انزلق فيه الزوج من المعاصي، والصبر والتحمل مهما عظم الأذى أو طال، وجاهدي نفسك في عدم الاستجابة لها إن غضبت، أو رغبت في الانتقام، أو الإخلاد إلى الكسل، وعدم المواصلة، جاهدي نفسك وعلِّميها أن تبتسم إذا أغضبها، وأن تحسن إليه إذا أساء إليها: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤).

وكم سمعنا عن زوجات انتكسن بعد هداية!! كنَّ صالحاتٍ، فتركن المجاهدة، وتأثرن بأزواجهنَّ بدلاً من التأثير عليهم!!

٤. **الصبرَ الصبرَ، مهما طال الزمنُ**، فالصابر يفوز بمعية الله تعالى له، ومن كان الله معه في قوله وعمله وكل صغيرةٍ في حياته أو كبيرة، فسيسدده، ويوفقه ويثبته، ويعينه،

فما ظنُّك بحاله؟! وكيف سيكون؟!

ألم يقل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(البقرة: ١٥٣).

ولا تستعجلي الفرج؛ فلن يتغير أحد بين يوم وليلة، فقد مكث رسول الله ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة يدعو إلى الله؛ حتى تم له الفتحُ المبين لمكة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأيوب – عليه الصلاة السلام – صبر على شدة البلاء ثماني عشرة سنة؛ حتى فرج الله له، والأمثلة في هذا كثيرة، وقد لاحظت في قصص الأخوات من جلست تجاهد سنةً كاملة، ومن جلست ثماني سنين، بل وخمس عشرة سنة.

٥. **احتساب الأجر، وتذكُّره دائماً**، فهو مما يهوِّن المصيبة، ويشجع على بذل المزيد.

٦. **لابد من التدرج مع الزوج، والبدء بالأهم فالمهم**، فابدئي دائماً بالصلاة إن كان يتأخر عنها، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولابد أن تعرفي أيضاً أنه سيتدرج في الوصول إلى ما تطمحين، ولن يصل آخر السلم بقفزة.

٧. **حاولي أن تعرفي الطريقة المناسبة لزوجك**، فالرجال يختلفون، وما يناسب رجلاً قد لا يناسب الآخر، وإن لم تستطيعي التوصل إلى ما يناسب زوجك؛ فاستعيني بالله أولاً بالدعاء أن يوفقك، ثم استعيني بأهل الرأي والاختصاص.

٨. **الطاعة ثم الطاعة في غير معصية الله**، ولو كان فيما تكرهه نفسك، فهنا الابتلاء.

٩. **الرجل غالباً لا يحبُّ الأوامر من المرأة، ولا يحب طريقة النصح المباشر، ولا يحب أن يترك شيئاً أو يفعله لأجل امرأته أو بتأثيرها أو خوفاً منها**؛ فلابد من الذكاء في التعامل معه، والأدب عند الحديث معه، فمثلاً:

أ. ابتعدي عن (افعل ولا تفعل) واجعلي مكانهما: أتمنى، وكم يعجبني، وما رأيك لو كذا...

ب. أشعِريه بعظم حقه عليك، وبعظم مكانته في قلبك، وأن الحب الصادق هو دافُعك الوحيد لكلِّ ما تقولين أو تفعلين.

ج. أظهري له دائماً ضعفك وحاجتك إليه، واستشيريه في كل شيء، وأظهري له أنك لا تستطيعين الاستغناء عنه، أو عن رأيه، ولو في أصغر الأمور.

د. لا تحاولي إصلاحه عن طريق مقارنته بغيره، كقولك: انظر إلى فلان أَحْضرَ كذا، أو يفعل كذا، بل اجعليه دائماً ينظر إلى نفسه، وما فيها من الخير الكثير، فقولي له مثلاً: ما شاء الله عليك أنت تفعل كذا، وأنت تحب دائماً أن تفعل كذا، وأنت تكره كذا، أسأل الله أن يزيدك من خيره، وأن يوفقنا جميعاً لترك كذا، أو فعل كذا...

هـ. ذكِّريه دائماً بحسناته، وإيجابياته، ولا تذكِّريه بمساوئه، لأنه يعرفها؛ ولأن ذلك يعين الشيطان عليه، والرسول ﷺ يقول: «**لا تعينوا عليه الشيطان**»(١).

و. اشكريه على كل صغيرة وكبيرة، ولو كان شيئاً واجباً عليه، وادعي له دائماً، وهو يسمع، ورحِّبي به كثيراً كلما أقبل عليك، وأسمعيه كلمات الحب والرضا، ولو لم تسمعيها منه.

١٠. **احرصي على كل ما يجذبه إليك ، وما يرضيه عنك** من: كلام عذب، وملبس جميل، ورائحة طيبة، واهتمام بالمنزل والولد، وتذكري أنَّ أكثر ما يؤثر في قلبه (الابتسامة).

١١. **إياك وهجرَ الزوج إذا غضبت**؛ فإن ذلك يوغر صدره، ويصد قلبه، فاكظمي غيظك، وادفعي بالتي هي أحسن، فهذا من الابتلاء.

١٢. **لا تخبري أحداً بعيوبه وأسراره**، ولو كانت أمك أو أمه، ولا تشتكي إلا لمن تثقين في رجاحة عقله، وصواب رأيه فقط.

١٣. إنَّ من تمام المعروف إذا وفقه الله إلى ما تحلمين به **ألا تذكِّريه بما كان عليه، ولا تعنفيه، ولا تتفضلي عليه وتظهري أنك صاحبة الفضل والمعروف فيما وصل إليه.**

وفقك الله لما يسعد قلبك مع زوجك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٧٩).

الفصل الثالث

حسن تربية الأبناء

الأبناء

زهرة الحاضر...

وقادة المستقبل...

وأمل الأمة المشرق...

(إذا أحسنَّا تربيتهم وتكوينهم).

وهم أمانة... وأيُّ أمانة! والتقصير في تربيتهم خيانة... وأيُّ خيانة!!

بل ونقص... وأيُّ نقص في الديانة!!!

فالبيت هو المدرسة الأولى لهم، وهو لبنة من لبنات المجتمع، بل هو نواته.

وفي الأسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على رعاية حدود الله، وحفظ شريعته، والتي من دعائمها: المحبة، والمودة، والرحمة، وطريقها: الإيثار، والتعاون، والتقوى... في هذه الأسرة ينشأ رجال الأمة ونساؤها بل ودعاتها...

قال ابن القيم – رحمه الله –: (كم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله، وترك تأديبه... وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد؛ رأيت عامته من قبل الآباء).

وفي هذه الصفحات نعرض صوراً مشرقة تُظهر منهم الخير العظيم، والنفع العميم لأنفسهم، وأهاليهم، بل ومجتمعهم، خاصة حين يستشعر الوالدان قول النبي العدنان – عليه الصلاة والسلام –: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته»(١)

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٣) ومسلم برقم (١٨٢٩).

بين أزقة المدينة

بينما كنتُ ماشياً بين أزقة المدينة وشوارعها انتابتني رغبة في شرب الماء، فبحثت هنا وهناك علِّي أجد ماء سبيل أرتوي منه، فأقبلت على أحد أماكنه فوجدت أنه قد سبقني إليه غلام، فانتظرت دوري، فما كان منه لما رآني إلا أن ملأ الكوب ماءً، وقدمه لي قائلاً: تفضل.

حاولت أن أرده، إلا أنه ألحَّ بكل أدب، فلما فرغت؛ شرب هو الماء بدوره، وقد سمى بالله، ثم حمده، وانصرف.

تأملتُ في تصرف هذا الغلام وعجبت من أدبه وسمته، وقلتُ في نفسي: إن سلوكاً مثل هذا لا يمكن أن يأتي إلا من بيئته الطيبة، وتأديب أبويه له، كيف لا، وهو في سنٍ تكثر فيه الاهتمامات التافهة، والتصرفات الطائشة؟!

وكنتُ قد سألتُ ذات مرة بعض الشباب المراهق عن اهتماماتهم، فقال أحدهم: إني أتمنى أن أركب سيارة بورش السباقية، وقال آخر: إني أتمنى أن أجمع أكبر قدر من الطوابع القديمة من مختلف أنحاء العالم، وكذلك صور الفراشات الملونة، ثم توجهت بالسؤال إلى نمط من الشباب الصغار من ذوي التربية الناضجة ، فقال أحدهم: إني أتمنى أن أكمل حفظ القرآن الكريم كاملاً؛ لأرضي ربي، وقال آخر: إن مشكلتي هي أني لا أقوم لصلاة الفجر؛ فأتمنى من الله أن يعينني، وآخر اهتماماته في القراءة، وآخر اهتماماتُه في علوم الفلك.

عجباً والله! أليس السن واحداً؟! أليس مشربهم ومأكلهم واحداً؟! بلى! ولكن تأديبهم، وتوجيههم ليس بواحد، فرقٌ بين أب يحكي لأبنائه قصصاً من السيرة النبوية، وقصصَ السلف الصالح في جلسة عائلية رائعة، وبين أب يحكي لأبنائه آخر أخبار الفن والفنانين والرياضة والرياضيين، وما أجمل أن يسير الأب مع ابنه جنباً إلى جنب إلى المسجد، وقد حان وقت الصلاة! فالأب ينصح ابنه، والابن يوقظ أباه لصلاة الفجر! إنها صورة مشرقة تُشترى بالذهب، لكنها لا تأتي من فراغ؛ **فقد قالوا قديماً:**

وَيَنْشَأُ ناشئُ الفتيان فينا * على ما كان عوَّده أبوه**
وما دان الفتى حجى، ولكن * يعوِّده التدين أقربوه**

فمتى يصحو بعض الآباء من غفلتهم؟! وإلى متى يتركون أبناءهم هملاً هكذا؟!

بل لعلك تجد أباً يحرص على مستوى ابنه الدراسي حرصاً شديداً، لكنه لا يعير أدنى اهتمام لمستوى ابنه الإيماني والأخلاقي، وكأن الدراسة أهمُّ!! أمّا الدين والخلق فهما أمران جانبيان!! وليصاحب الابن مَنْ شاء؛ فالمهم ألا يتأثر دراسياً! منطق عجيب يتسم به بعض الآباء، ولن يصحو أولئك من غفلتهم إلا عندما يكبر أبناؤهم فيقطفون ثمار تربيتهم عقوقاً، وكيف لا يظهر العقوق؟! فمن ضَعُفَ دينه فَلَيْسَ للحياء والأدب مكانٌ في قلبه! شفاء، وأن أيامها في الحياة باتت محدودة (إلا أن يشاء الله).

فتاة تشفى من السرطان بعد أن اقترب الموت منها

فتاة في عمر الزهور، نشأت في مدينة العلا على الصلاح والتقى؛ فحفظت أجزاء من القرآن الكريم..

في أحد الأيام شعرت بألم فقررت الذهاب إلى طبيبة المركز الصحي المجاور، وبعد فحص، وأسئلة كتبت لها الطبيبة تحويلاً إلى المستشفى، وهناك كانت الصدمة قويةً على والديها حيث أخبرهما الأطباء بأن الفتاة مصابة بالسرطان، ولقوة إيمانها بالله – عز وجل – كانت أكثر ثباتاً من والديها وإخوتها، وقررت في داخلها التسليم لقضاء الله وقدره، أما والداها فكان حالهما حال الكثير من الآباء فقررا، البحث لها عن علاج في أيِّ مكان، واختارا إحدى المستشفيات الخاصة الكبرى في المملكة، وبدأت رحلة العلاج، وفي أثناء هذه المدة ازدادت هذه الفتاة المؤمنة قرباً من الله – عز وجل – فأكملت حفظ القرآن الكريم كاملاً خلال أشهر قليلة، وبعد عدة أشهر من العلاج أخبر الأطباء والدها بأن المرض قد انتشر في جميع أجزاء جسمها، ولا أمل لها في الشفاء، وأن أيامها في الحياة باتت محدودة، وقليلة جداً (إلا أن يشاء الله).

سلَّم الأب والأم أمرهما إلى الله – عز وجل -.

وعلمت الفتاة أن أيامها أصبحت معدودة، وبدأت حالتها تسوء، وفي أحد الأيام طلبت الفتاة من أبيها أن تذهب إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وبعد أن قضت مناسك العمرة شربت من ماء زمزم، ومن ثَمَّ صلت صلاة مودِّع، ودعت الله – عز وجل – بقلب مؤمن صادق أن يشفيها من هذا المرض الخبيث، وبعد خروجها من الحرم بدأت تشعر بنشاط لم تعهده من قبل منذ إصابتها بالمرض، ومن ثمَّ عادت إلى منـزلها، وبعد أيام عادت لها الحيوية والنشاط؛ فقررت الذهاب مرة أخرى للطبيب لعل وعسى!! وبعد الفحص وإجراء الأشعة أكد لها الطبيب أنها سليمة، ولا أثر للمرض لديها، وقال: لو لم أكن أنا الطبيب المعالج، لقلت إنك لم تصابي بالمرض أبداً، وحقًّا إن الله قادر على كل شيء، إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، فسبحان الله العظيم.

والسؤال: لو لم تتربَّ هذه التربية الإيمانية، هل سيكون لها هذا التعلق الكبير بالله تعالى، أم سيكون حالها كحال كثيرٍ ممن يستسلم للمرض، ثم يقبع في زاوية ينتظر الموت صباح مساء؟!!

سبحان من ألهمه!!

جلست الأم ذات مساء تساعد أبناءها في مراجعة دروسهم... وأعطت طفلها الصغير كراسة للرسم؛ حتى لا يشغلها عمَّا تقوم به من شرح، ومذاكرة لإخوته الباقين.

وتذكرت فجأة أنها لم تحضر طعام العشاء لوالد زوجها الشيخ المسن الذي يعيش معهم في حجرة خارج المبنى في حوش البيت.. وكانت تقوم بخدمته ما أمكنها ذلك، والزوج راضٍ بما تؤديه من خدمةٍ لوالده، والذي كان لا يترك غرفته لضعف صحته.. أسرعت بالطعام إليه، وسألته إن كان بحاجة لأي خدمات أخرى، ثم انصرفت عنه.

عندما عادت إلى ما كانت عليه مع أبنائها.. لاحظت أن الطفل يقوم برسم دوائر ومربعات ويضع فيها رموزاً.. **فسألته: ما الذي ترسمه يا حبيبي؟!**

أجابها بكل براءة: إني أرسم بيتي الذي سأعيش فيه عندما أكبر وأتزوج، فسألته الأم: وأين ستقيم؟ فأخذ الطفل يريها كل مربع، ويقول هذه غرفة النوم، وهذا المطبخ، وهذه غرفة لاستقبال الضيوف.. وأخذ يعدد كل ما يعرفه من غرف البيت.. وترك مربعاً منعزلاً خارج الإطار الذي رسمه!.

فعجبت.. وقالت له: ولماذا هذه الغرفة خارج البيت منعزلة عن باقي الغرف؟!

أجاب: إنها لك! سأضعك فيها تعيشين، كما يعيش جدي الكبير..

صعقت الأم لما قاله وليدها!!! هل سأكون وحيدة خارج البيت في الحوش دون أن أتمتع بالحديث مع ابني وأطفاله، وآنس بكلامهم، ومرحهم، ولعبهم عندما أعجز عن الحركة؟! وهل سأقضي ما بقي من عمري وحيدة بين أربع جدران، بدون أن أسمع لباقي أفراد أسرتي صوتاً؟! أسرعت بمناداة الخدم، ونقلت وبسرعة أثاث الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف، والتي عادة ما تكون أجمل الغرف، وأكثرها صدارة إلى غرفة والد الزوج، ولما عاد الزوج من الخارج فوجىء بما رأى وعجب له، فسألها: ما الداعي لهذا التغيير؟

أجابته والدموع تترقرق من عينيها: إني أختار أجمل الغرف التي سنعيش بها أنا وأنت، إذا أعطانا الله عمراً، وعجزنا عن الحركة، وليبق الضيوف في غرفة الحوش. ففهم الزوج ما قصدته، وأثنى عليها لما فعلته لوالده الذي كان ينظر إليهما، ويبتسم بعين راضية.

دمعة أب..!!

فجأة وجدتُه في إحدى زوايا حجرته شارد الذهن، فقلت له:

- أين أنت يا أبتاه؟

فنظر إليَّ ولم يتفوَّه بكلمة فأبصرت، في عينيه دمعةً أبت أن تخرج.. ولاحظت حزناً خيَّم على قلبه.. وتغيُّراً في ملامح وجهه. اقتربت منه، وقلت له:

سلام الله عليك، ورحمته، وبركاته.

فردّ بصوت مصحوبٍ بنبرة حزن: وعليكم السلام.

ولم يرفع رأسه فقلت في نفسي: لمَ لم ينظر إليَّ؟! هل خشي أن أرقب دموع الألم المتحجِّرة في عينه كبرياءً ورجولة، وبعد حوار طويل مع النفس، **قلت:**

- أبتاه لمَ هذه العزلة التي تحيا بها؟.. ولِمَ كل هذا التجاهل منك لي؟

فأجاب بصوته الجهوري:

- أي بُنية إنك لم تتزوَّجي. ولم تنجبي أبناء، لذلك لن تفهمي سرَّ هذه العزلة؛ فأجبته مسرعة:

- وهل الأبناء الذين هم زينة الحياة الدنيا.. وهم نعمة من نعم الله على والديهم يكونون سبباً في عزلتهم، وآلامهم، **وأحزانهم؟!**

فأجاب، وبلا تردد: نعم.

فقلت: ولِمَ هذا التعميم؟!

فأجاب، ونياط قلبه تتقطع:

- كان هذا التعميم من واقع عايشته.. ومرارة تجرّعتها.. وعلقماً سقانيه أخوكِ.

وفجأة توقف عن الحديث، وأخذ نَفَساً عميقاً، **واستطرد قائلاً:**

- لقد بذلت كل ما أستطيع من أجلكم.. ضحَّيت بكل ما أملك من أجل راحتكم وراحته.. ضحَّيت بمالي وصحتي.. ووقتي فجزاني جزاءً لا مثيل له.. ليته أخرجني من البيت !! ليته حرمني من مالي!! ليته حرمني من كل ما أملك !!

بل كان جزاؤه أقسى وأندى للجبين، لقد طردني، وأبعدني عن رحمة الله بقوله: **لعنك الله يا أبي!!**

كلمةٌ صعقتني.. ألقتني صريعاً على الأرض.. أصارع الألم.. والحزن.. أصارع الموت البطيء.

ثم صمت.. فنظرت إليه؛ فإذا بدمعة رسمت على لوحة الحياة معاناة والد.. ومأساة.. أب.. فلم أتمالك نفسي من البكاء، واقتربت من أبي، ورسمت على رأسه قبلةً؛ قد تخفف معاناته؛ ودعوت له ولأخي.

خمسة عشر عاماً

في هذا الشهر أتمَّ أحد الشباب – بيض الله وجهه – خمسة عشر عاماً بجوار والده في المستشفى، لا يخرج إلا لحاجة ضرورية، دقائق ثم يعود، وغالباً ما تكون يوم الخميس في حضور أحد الأقارب.

والسؤال الذي يطرح نفسه باحثاً عن الإجابة بعد هذه المعلومة الموجزة!!

أين يعمل إذاً؟! وكيف يعيش؟! وماذا عن وضعه الاجتماعي؟! وكيف استطاع الصبر طوال هذه المدة؟! أسئلة طويلة بطول هذه المدة!!

وجوابُ هذه الأسئلة مدعاةٌ لأن تتضح صورة من صور الوفاء وأداء الحقوق.

فمنذ أن أصيب والده بجلطة أدت إلى ملازمته للسرير؛ تفرغ هذا الشاب من كل أشغال الدنيا، وترك العمل، وهجر الأصحاب، وأعرض عن النُّزهات!!

بل – والله – كان العمل والأصحاب والتنزه والحياة كلها هناك عند والده بِرًّا وإحساناً.

وإن رابك العجب من فعله، وأردت أن تعرف أن لهذا الشاب القدح المعلى في البر، فاذهب إلى دور النقاهة لترى كيف هُجر الآباء، ونُسيت الأمهات.. أو ألقِ نظرة داخل البيوت لترى صوراً مفجعة من أنواع العقوق، ألم تسمع أحدهم يعاتب والدته حتى بكت تلك المرأة الكبيرة المسكينة!! ألم تسمع أن أحدهم يزور الأحباب والأصحاب ويهجر أمه وأباه!! وبعضهم أراد أن يُحسن تربية والديه – كما قال – فهجرهما إرضاء لزوجته.. وحدِّث عن البحر ولا حرج في ظل ضعف الدين، ونقصِ العقول، وانقلاب الموازين.

إنَّ المتأمل في مجتمع الناس اليومَ بصفة عامة – مع الأسف – يلاحظ انتشار ظاهرة عقوق الوالدين تُطل بعنقها بين حين وآخر... ومع ارتفاع مستوى التعليم لدى الكثير الذي يتبعه عادة نمو مستوى التفكير والذوق والحرص على التلطف والمجاملة، وقبل ذلك معرفة الأحكام الشرعية، إلا أننا نلاحظ بنظرة سريعة أن منزلة الصديق – عند بعض الشباب خاصة – تأتي في المقدمة قبل الوالدين والإخوة، ويلحقهم الأقارب، فلا ترى لأصحاب الحقوق حقوقهم، ولا لأهل الوصل حبالهم! ولذا فحسن الخلق، والبشاشة، واللطف بل حتى الزيارة والمحادثة والمهاتفة سائرة نحو الصديق والرفيق.

ويُحرم منه من قال الله – عز وجل – عنهما:

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٢٤). بل أمر بصحبتهما بالمعروف، ولو كانا على الكفر:

﴿ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ (لقمان: ١٥).

فما بالك بأبوين مسلمين عابدين صالحين!!

أصغيت إلى أحدهم كان يتحدَّث عن فلان من العامة، وقد أقام الدهر اعترافاً بجميله؛ لأنه أكرمه يوماً أو يومين.. فأسمَع الناس ثناءً على كرمه، وحسن ضيافته، وجميل صنعه!! أمَّا مَنْ أكرمه، وأحسن وفادته عقوداً من الزمن، فقد طواه النسيان، وتفرقت به الأيام.. وليت الأمر كذلك بل استنـزل دموعهما، وترك أنَّةً حَرَّى تختلج بين ضلوعهما!! ولسان حال الأبوين **يقول له:**

وأنت امرؤٌ فينا خُلقت لغيرنا * حياتك لا نفعٌ، وموتك فاجع**

لمن أدرك أبويه: ما دامت الأنفاس تتردد والقلوب تنبض، فإنَّ برهما قريب، وصلتهما واجبة، فأطلق بصرك لترى ابتسامة أبويك؛ ثم اسجد في هجعة الليل المظلم، وارو الأرض من دموعك، وأنت تردد عائداً، تائباً، مستغفراً:

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٢٤). وإن لم يكن لك خمسة عشر عاماً في ملازمتهما؛ فلا تحرمهما أقل من ذلك بكثيرٍ... وكثير!!

إنها التربية في نعومة أظفارها

في مدينة الرياض، وفي إحدى مدارسها كانت جموع الطلاب تستعد لدخول قاعة الاختبار، وكل منهم ممسك بكتابه يقرأ، ويراجع فيه، ورن الجرس معلناً بدء وقت الاختبار، فدخل الطلاب، وجلس كل واحد منهم على مقعده، وعندما دخل المراقب ليوزع أوراق الاختبار، إذ بطالب من الطلاب يصدر صوت بكاءٍ مع نشيج، فيلتفت المراقب إلى الطالب، ويقول له: ما بك يا بني؟ فيقول الطالب بكلام متقطع: إني تذكرتُ امتحان الآخرة!!

أطفال في ركاب الدعوة

لقد سمعتُ بقصة ذلك الصبي الذي امتنع عن الذهاب إلى المدرسة؛ لأن أمه لم توقظه ليصلي الفجر، حتى كان بفضل الله سبباً في هداية والده، فأعجبني هذا الموضوع، وبدأت أنبش في صفحات الواقع أبحث عن نماذج مشابهة؛ فهالني ما سمعت.. لقد انكبت عليَّ القصص من أفواه أصحابها كالسيل مما أثلج صدري، وطمئن قلبي بأنه ما زالت هناك الأم (المدرسة)، والأب (المربِّي)، والمعلم (الفاضل) الذين يغرسون مبادئ الدين في نفوس صغارنا مع رعايتها، وسقايتها باستمرار حتى تشّربتها قلوبهم، وأصبحت همًّا في صف همومهم الصغيرة.

- **مثل أصحاب الغار!!**

كانوا ثلاثة إخوة: بنت في الصف السادس، وأختها في الصف الرابع، وأخوهما في الصف الأول الابتدائي؛ أغلق الأهل عليهم الباب دون علم منهم، ثم صعدوا إلى أعلى، حيث الدور الثاني، فلما انتبه هؤلاء الصغار، أخذوا يطرقون الباب، ولكن بلا فائدة، فلا أحد يسمعهم، فجلسوا يفكرون قليلاً كيف يتصرفون، فقالت الكبرى: نفعل مثلما فعل أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة، كل واحد منا يتذكر عملاً صالحاً، ويدعو الله به أن يفرِّج عنا، فقالت الكبرى: يا رب إني لا أنام إلا وقد صليت الوتر؛ فإن كنت قبلته فافتح لنا هذا الباب، وقالت الوسطى: يا رب إني أحفظ من القرآن سورة كذا وكذا؛ فإن كنت قبلته مني فافتح لنا هذا الباب، وقال الصغير: يا ربِّ إني أعطيت أختي مرة ريالاً من مصروفي؛ فإن كنت قبلته فافتح لنا هذا الباب، فوالله ما انتهوا إلا وصوتُ والدهم يحرك المفتاح يريد فتح الباب.

- **طفل داعية:**

دُعينا إلى وليمة عشاء؛ فذهبت مع زوجي وأولادي إلى تلك الوليمة، فشاهد ابني الصغير أحد العمال الذين يخدمون في تلك الوليمة فسأله:

أأنت مسلم أم لا؟

فقال: لا، فأخذ ابني بيده، وذهب به إلى موقد الفحم (الوجار) المشتعل، وكان الوقت شتاءً، **وقال:** إذا أنت لم تسلم وضعك الله في مثل هذه النار الحارة، **قل:** أشهد أن لا إله إلا الله، **قل:** أشهد أن لا إله إلا الله، وأخذ يلحُّ عليه، فشاهده أحد الدعاة الذين يتقنون اللغة الإنجليزية، وكان حاضراً تلك المناسبة فجلس يحدثه عن الإسلام، ويجيب عن أسئلته حتى الواحدة والنصف

ليلاً، فما قام من مجلسه ذاك إلا وقد نطق بالشهادتين.

- **في السيارة:** توقفنا عند الإشارة، وكان بجانبنا سيارة ترتفع منها أصوات الموسيقى الصاخبة، فقلت لابني الصغير: افتح نافذة السيارة، وقل للرجل: جزاك الله خيراً اخفض صوت الموسيقى، الموسيقى حرام، فتبسم ذلك الرجل، ورفع يديه محيِّياً ابني، وقال: شكراً يا حبيبي، وأغلقه تماماً.

- **نصح العامل:** جاء إلى منزلنا عامل وافد ليصلح شيئاً ما في المنزل، فأخرج هذا العامل سيجارة، وبدأ يدخن، فرآه ابني الذي يبلغ من العمر أربع سنوات ونصف، فقال: لا تدخن في منزلنا يا عثمان مرة أخرى، ألا تعلم أن التدخين حرام وأنت مسلم؟ لا ينبغي أن تفعل محرما، وقد أعطاك الله الجنة، وأعطاك النار ففرِّق بينهما، وأخذ يسرد الكلام له سرداً، وعثمان يضحك ويعجب، ووالده بجانبه يضحك أيضاً، ويعجب من كلامه أشد العجب، فلما انتهى خجل منه هذا العامل، وقال له: لأجلك فقط يا عبدالله سأترك التدخين منذ اليوم.

  فقال الوالد: بل قل لأجل الله تعالى، لا لأجل أحد من البشر؛ حتى يعينك ويأجرك، ومنذ ذلك اليوم لم يعد هذا العامل إلى التدخين أبداً.

- **في الامتحان:** ابنتي تدرس بالمرحلة المتوسطة، وكانت تتحدث إلينا عن الامتحان الذي أدته، وأنها واجهت صعوبةً في حل بعض الأسئلة، فقالت طفلة بجانبي تدرس في الصف الخامس: يا فلانة إذا واجهتك صعوبة أثناء الامتحان فأكثري من الاستغفار، وستجدين أن الله تعالى يفتح عليك بالحل الصحيح، وقد جرَّبت ذلك فجربيه، أصبحت ابنتي بعد ذلك تعمل بنصيحتها عند كل اختبار، فوجدت نتائج مذهلة شجعتها على المزيد.

- **مع جدتي:** ركبت الصغيرة مع والدها في السيارة، فرفع صوت الموسيقى؛ فقالت له: اخفض الصوت يا والدي... الموسيقى حرام، فقال لها اسكتي، ولا تزعجينا بنصائحك، فوضعت أصبعيها في أذنيها، وقالت: (بكيفك تبي تروح النار رح لحالك، أما أنا فسأذهب إلى الجنة مع جدتي) فخجل والدها، ولم يفتح الموسيقى في سيارته بعد ذلك !!

- **إنها الفطرة:** كنت أجلس في الغرفة وبجانبي ابنتا خالتي اللتان لم تبلغا سن الدراسة، فقالت الصغيرة منهما: من خلق الله؟ فقالت الكبيرة ألا تقرئين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص: ١-٤).

- **مع الابن الأعمى:** كان شاباً غير مستقيم، ولا يعرف للمسجد طريقاً، مستهتراً عديم المبالاة بمشاعر الآخرين، يحب المرح، ولو على حساب الآخرين، حتى إنه شاهد كفيفاً يمشي ذات مرة في الشارع، فاعترض طريقه برجله فسقط الكفيف على الأرض، فأخذ يضحك مع رفاقه، فحملت زوجته بعد ذلك، وأنجبت طفلاً كفيفاً، ولكنه لم يعتبر، فكبُر هذا الابن، وأصبح عمره عشر سنوات، وفي يوم جمعة كان الأب نائماً فاستيقظ فزعاً على صراخ شديد من ابنه الكفيف الذي يعطف عليه كثيراً، ولا يستطيع أن يرفض له طلباً، فسأله: ما بك؟ قال: أريد من أخي أن يأخذ بيدي إلى المسجد لأصلي الجمعة، لقد تأخرت، وخالد غير مبال، وكانت الساعة الحادية عشرة فرقَّ له أبوه، وقال: أنا آخذك فلا تحزن، فذهب مع ابنه إلى المسجد لأول مرة في حياته، وبدأ الصغير يقرأ القرآن، فجعل يتأمل هذا الصغير الكفيف، وهو يُرتل القرآن ترتيلاً جميلاً، ويخجل من نفسه التي لا تحفظ آية.

ثم بدأت الخطبة فأخذ يستمع إليها، وكانت خطبة بليغة مؤثرة؛ فتأثر بها تأثُّراً كبيراً، وأصبح بعد ذلك يحرص على أداء الصلاة، ولا يتركها أبداً !!

- **ثبات عجيب:** تدرس ابنتي في الصف الرابع، وقد حدثتهن المعلمة عن: الحجاب، وفضله، وفائدة الحجاب للمرأة، وغير ذلك، فجاءتني ابنتي، وقالت: لقد عاهدتُ الله أن ألبس العباءة، وأغطي وجهي منذ اليوم يا أمي. منذ ذلك الوقت وهي تحرص عليه أشد الحرص، وسافرنا إلى المنطقة الشرقية؛ فقلت ستخلعه عند البحر؛ لتلعب مع قريناتها، ولكنها لم تفعل، وجلست عند الشاطىء بعباءتها وغطائها الطويل على وجهها، فقلت لها: يا ابنتي اخلعي هذه العباءة، وانزلي لتسبحي مع أخواتك، ولكنها رفضت؛ فأخذت أحاول إقناعها: أنت ما زلت صغيرة، إن لم تلعبي الآن فلن تلعبي بعد ذلك لأنك ستكبرين، جرِّبي هذه المرة فقط وغير ذلك من الكلام، فالتفتت إليَّ، وقالت: سبحان الله يا أمي هل تريدينني أن أخونَ العهد الذي قطعته مع الله، فخجلتُ – والله – من نفسي، ولم أعد إلى الحديث معها عن هذا الموضوع مرة أخرى، واضطُررنا لاستئجار شاليهات خاصة؛ كي تتمكن ابنتي من السباحة بحرية!

لماذا نشجع صغارنا على الدعوة إلى الله؟!

ما رأيك عزيزي القارىء لو جرَّبت تعويد طفلك على الدعوة إلى الله منذ الصغر، وبطريقة تتناسب مع عمر الصغير وتفكيره.

إنك بذلك تغرس فيه أشياء كثيرة وجميلة، لعل منها:

١- تعلمه الامتثال لأمر الله تعالى، الذي أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيراه بالتطبيق العملي الواقعي، وأنت تعلم ما في ذلك من الأجر الذي سيأتيك في حياتك، وبعد مماتك.

٢- تغرس في نفسه حب الآخرين، والحرص على هدايتهم.

٣- تجعله يحمل همَّ هذا الدين، وهمَّ تبليغه، وليس فقط قلباً لا يحمل سوى هم سيارة، أو وظيفة، أو متعة زائلة.

٤- تُعوِّده على الجرأة، وطلاقة اللسان، وانتقاء الكلام المناسب عند محادثة الآخرين.

٥- تزرع الثقة في نفسه، وأنه قادر على العطاء، والتغيير.

٦- إعداده وتهيئته منذ الصغر ليكون فرداً إيجابياً له دوره في المجتمع، وليس فرداً يواجه مواقفَ الحياة بسلبية لا تقدم ولا تؤخر، فتعويد الطفل منذ صغره على أمر ما أسهلُ بكثير من تعويده عليه حال الكبر.

إنَّ الغصون إذا عدَّلتها اعتدلت * ولا تلينُ إذا كانت من الخشب**

الفصل الرابع

مع المعلمين والمعلمات

شكر وعرفان

للمعلم (والمعلمة) رسالة عظيمة، وعمل من أشرف الأعمال، إذا أتقنه وأخلص لله تعالى فيه، واجتهد في تربية الطلاب التربية الإسلامية الصحيحة.

فالمعلم بحق مربي الأجيال، وصانع الرجال، ومخرّج الأبطال...، فعليه يتوقف صلاح أو فساد المجتمع..

ومن المعلوم أن من أهداف التربية والتعليم إنشاء شخصية ذات مُثُل عليا، ترتبط بربها، وتستمد منه نظام حياتها، وتعمل على تقويم مجتمعها، وتصحيح مفاهيمه.

فالله أسأل أن يجزيَ كل معلم مخلص، ومعلمة صادقة أجزل المثوبة على جهودهم الدؤوبة في الرقي بأبناء الأمة.

تجربتي

هكذا يجب أن أكون .. كالغيث أينما حل نفع!

منذ نعومة أظفاري، وأنا أحلم بأن أكون معلمةً قديرة، وكثيراً ما كنت أتقمص ذلك الدور حينما ألعب مع أترابي الصغيرات، ومرت الأيام، وشاء الله تعالى أن يتحقق ذلك الحلم الجميل بعد أن تخرجت بحمد الله في كلية شرعية زوَّدتني – بفضل الله – بحصيلة علمية جيدة، ورغبة قوية تدفعني من الأعماق لنشر ذلك العلم، والدعوة إلى الله تعالى، وكدت أن أطير من الفرح، ولم أصدق أنَّ قدماي تحملاني لأول مرة؛ لأكون معلمة حقيقية تغذي العقول، وتغرس القيم، وبدأت رحلتي الجميلة مع التعليم، وفي تلك المدرسة الثانوية التقيت بطالباتي الحبيبات، بسطت لهن وجهي، وتودَّدت لهن في نصحي وقولي، ومنحت لهنَّ وقتي وراحتي، بل وبذلتُ لمن أراها تحتاج بعض مالي، كنت قريبةً إلى نفوسهن فانجذبن نحوي، وفتحن قلوبهنَّ لي، فتعلمت من ذلك كيف أبذر بذرة الخير؛ فأراها تنمو لتصبح شجرة طيبة تؤتي ثمارها في كل حين، زرعت فيهن حب الخير، وزرعن في قلبي حب العمل والدعوة إلى الله، ولا أنسى تلك الدموع التي انحدرت من عينيَّ حينما رأيت بعضاً منهن يتسابقن إلى مصلى المدرسة وقت الفسحة؛ ليركعن ركعتي الضحى، بعد أن كانت ضحكاتهنَّ وقت الفراغ تملأ الممرات والساحات.

كانت تلك الثمار تمسحُ عن جبيني آثار التعب والإرهاق من جراء الجهد الذي كنت أبذله في مدرستي مع واجبات بيتي، فأنا زوجة وأم لأطفال.

كابدت المصاعب وأعانني زوجي فهو – بحمد الله – رجل صالح، وكان كثيراً ما يُردِّد: أخلصي في عملك ودعوتك، ليقيِّض الله لأولادك من يمنح لهم ذلك؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

لم تكن المادة تعني لنا شيئاً ولا دافعاً – بحمد الله – للعمل، ولم نتخذ تلك الوظيفة مطية لتحقيق شهوات دنيوية، ولا أنسى يوم فاتحته برغبتي بمساعدته بجزء من مالي لبناء بيت لنا ولأطفالنا، فقال لي: لن نبني بيتاً في الدنيا قبل أن نبني بيتاً في الجنة، وقمنا بتخصيص مبلغ من كل شهر للمساهمة في بناء بيت من بيوت الله، وواصلت مسيرتي وأنا – بحمد الله – أقطف كل يوم ثمرة، وأرقب تفتح زهرة وزهرة، حقًّا كم في قلوب بناتنا من خير، **ولكن أين المعلمات الداعيات؟!**

ومع مرور الأيام زاد عدد أطفالي، وتضاعفت مسؤولياتي، وبلغ بعضهم مرحلة من العمر يحتاجون فيها إليَّ أكثر من ذي قبل، ولأنني لن أُحضر خادمة تسرق مني أطفالي، وتهدم فيهم ما بنيتُ من مبادئ، وتجتثُّ ما زرعت من أخلاق كان أمامي قرار صعب جدًّا وهو التخلي عن

مدرستي، والتفرغ لبيتي وأطفالي، هو جزء من دعوتي لطالباتي للفهم الصحيح لدور المرأة في المجتمع، ترتيباً للأولويات في حياتها، وأن عليها أن تعطي ما دامت قادرة على العطاء، وأن تفسح المجال لغيرها حينما يطغى ذلك العطاء على واجباتها وأولوياتها.

فمضيت في عزمي، وقررت استقالتي، وأنا أستشعر قول رسول اللهﷺ: «المؤمن كالغيث أينما حلَّ نفع»، فإن كانت الدعوة في صفوف الطالبات بالنسبة لي أصبحت متعذِّرة، فإن مجالات الدعوة الأخرى تنادي العاملين؛ ليبذلوا لها شيئاً من أوقاتهم، وطالبُ الخير سيجده – إن شاء الله تعالى – إذا صدق في العزم، وأخلص النية.

كان القرار قاسياً على قلوب زهراتي المتفتِّحة، وقاسياً أيضاً على قلبي، ولكنه قبل كل شيء استجابة لنداء الفطرة، وعودة إلى عرش الأمومة داخل مملكتي الصغيرة.

وحان وقتُ الفراق فودَّعت طالباتي، ودعوت الله لهن بالتوفيق، وتمنيت أن تأتي إلى مدرستي من ترفع رايتي، وتحمل شمعتي؛ لتضيء للأجيال الدروب، وتغرس فيهن القيم.

هذه تجربتي وكم كانت أياماً جميلة، تعلمت فيها دروساً في البذل والدعوة، ودروساً في فن التعامل مع الآخرين، ولكنها على حلاوتها كشفت لي واقعاً مرًّا، وهو أن الكثيرات من العاملات في مجال التدريس لم يدركن المعنى الحقيقي للمعلمة، ولا الهدف الصحيح لمهنة التعليم النبيلة، فالتعليم لديهنَّ ميدان لحصد المال فقط، ومنهنَّ – وهذا أدهى – من استغلت مهنتها للدعوة إلى باطلها، وسفورها، وفكرها المنحرف، وعدد ليس بالقليل منهنَّ جعلن من هذه المهنة مجالاً للغرور، والتعالي، والتكبر على طالباتها، وكل هؤلاء أخطأن، فالتعليم قبل كل شيء أمانة أمام خالقهنَّ أولاً، ثم مجتمعهنَّ ثانياً، وهو ميدان خصب للتربية والتوجيه؛ فهلا أدركن؟!

إن هناك فِتناً كثيرة تعصف بقلوب فتياتنا المراهقات في المرحلة المتوسطة والثانوية، فالأغنية الماجنة، والفيلم الرخيص، وما تعرضه شاشات الأطباق الفضائية سيلٌ عارم لابد أن يوقف بسد منيع من الإيمان والخلق، **فهلا أسهمت المعلمة في بنائه في نفوس طالباتنا؟!**

إنَّني لا أدعي السبق إلى هذه التجربة، فأنا أعلم أن الكثيرات سبقنني إليها، بل لا أبالغ إذا قلت إنني ثمرة من ثمرات هذه التجربة، ولكنني أسبق إلى نشرها، لعل هناك من ينتفع بها، ولأن ذلك جزء من دعوتي بعد أن فارقت مدرستي.

بين معلمتين

حين كانت أستاذة (منيرة) تكتب درسها المملَّ على السبورة، كنت أول من يقوم بقذف الطائرات الورقية في اتجاهها.

وكان هذا العمل يُعدُّ بطولياً بالنظر إلى عصبية أبلة (منيرة)، وحِدَّتها.. لذا كانت الطالبات يحاولن كتم ضحكاتهنَّ التي لا تُحتمل حين تضربُ إحدى طائراتي الهدف مباشرة!

كانت تشتعل غضباً وصراخاً باحثةً عمن قامت بهذا، لكنها عبثاً لا تملك أي دليل عليَّ؛ فقد كنت ممثلة ماهرة جداً.

لذا كانت تصب جامَّ غضبها على الطائرات؛ فتقطعها إرباً إرباً، وهي تتوعدنا بنقص الدرجات التي كانت آخر ما يهمُّنا.. أو ما يهمني أنا شخصياً..

كنت مثال الطالبة المهملة في تلك المدرسة الابتدائية.. وكان بالإمكان تقليدي وسام (أكسل) طالبة في المدرسة.. كلُّ المدرسات كن يمقتنني، وينفرن من تصرفاتي الهوجاء، وإهمالي الدراسي.. كما أن أمي لم تكن تعتني بنظافتي، وترتيبي كثيراً؛ فاكتملت المأساة..

وفي كل مرة كانت المشرفة الاجتماعية تعطيني ورقة لأمِّي كنت أمزقها، وأرميها في طريق عودتي للبيت.. أمي لم تكن تقرأ، وحتى لو كانت تقرأ فهي لا تهتم أصلاً بهذه الأمور.

وذات يوم في حصة الرياضيات قالت لي أبلة (سلمى): (أنت لا تفهمين لأنك لا تملكين مخًّا أصلاً مثل باقي البشر!!)، كانت كلمتها قاسية جداً، وجرحتني، لكني أبديت عدم اهتمام، ووقفت في صمت خلف باب الفصل لأكمل عقابي لعدم حل الواجب، وأيضاً بسبب إضحاكي لزميلاتي طوال الوقت..

كنت مقتنعة تماماً بأني لا أصلح لشيء.. وأن هذه المدرسة ليست لي، ولا لأمثالي.. إنها للفتيات اللاتي يعشن مع أسر طبيعية، ويخرجن للنزهات مع أهاليهنَّ.. إنها للفتيات المرفهات، وليس للمعذبات، والمهمِلات أمثالي..

لذا لم أكن أهتم بأي شيء.. ورسبت للعام الثالث على التوالي في الصف السادس..

وفي السنة الأخيرة زاد شغبي وإهمالي؛ حتى قررت المدرسة فصلي تماماً من المدرسة.. وعدت إلى البيت لأخبر أمي بأني يجب أن أذهب لمدرسة أخرى..

وبالطبع لم يكن لأمي أيُّ تعليق حول ذلك.. فقد كان في مجلسها عدد من النساء، وكانت مشغولة بالحديث والضحك معهن..

لذا طلبت من ابنة عمي المتزوجة أن تأتي معي لأسجل في مدرسة أخرى.. وذهبت معي، وحاولنا، لكن المديرة رفضت فقد كان سجلي حافلاً ولا يشجع على قبولي في أي مدرسة..

ثم حاولنا في مدرسة أخرى وتم الرفض أيضاً، لم يكن أمامي سوى أن أعرض على والدي تسجيلي في مدرسة أهلية لكنه رفض تماماً؛ فقد كان مشغولاً بتكاليف زواجه المقبل.. ولم يكن يستطيع تحمل مصاريف جديدة.

عندها أيقنت أني يجب أن أجلس في البيت حتى يقضي الله أمره.

وبقيت في المنزل عامين كاملين، لم أشعر خلالهما بأي شيء، كنت أزور بنات عمي، ويزرنني بدورهن أحياناً، وفي الربيع كنا نخرج للبر، ولم يكن هناك أشياء جديدة.

طوال تلك المدة، كان هناك جرح يؤلمني رغم محاولتي لتجاهله.. إنه تيقني التام.. بأني إنسانة فاشلة.. ولا فائدة لها في الحياة.. كانت كلمة معلمة الرياضيات لا تزال ترنُّ في ذهني..: (أنت لا تملكين مخًّا مثل باقي البشر.. أنت لا تملكين مخًّا)..!

لذا برمجت حياتي كلها على هذا الأساس.. وهو أني إنسانة بلا مخ.. بلا عقل.. همُّها فقط: الضحك، واللعب، والحديث..

وكنت أعرف منذ طفولتي أني محجوزة لابن عمي مساعد.. صديق طفولتي.. والشاب العاقل الوسيم الذي تتمناه كل فتيات أسرتنا.. لكن لسبب لا أعرفه لم يتم الحديث حول هذا الموضوع أبداً، رغم أني أصبحت أبلغ من العمر ١٧ عاماً، وهو عمر مناسب للزواج في نطاقنا العائلي...

وذات مرة سمعت همسات بين أمي وزوجة عمي، وبدت أمي غاضبة بعض الشيء.. ثم جاء دور أبي الذي ظهر غضبه جليًّا.. وسمعت صراخاً بينه وبين عمي في المجلس.. لكن دون أن أعرف حول ماذا..

وبعد يومين.. عرفت الحقيقة من ابنة عمي.. لقد كانت المسألة كلها حولي أنا.. ومساعد..

فمساعد الذي بنيت أحلامي عليه.. لا يريدني.. مساعد الذي تخرج الآن في الكلية الأمنية، لا يريد

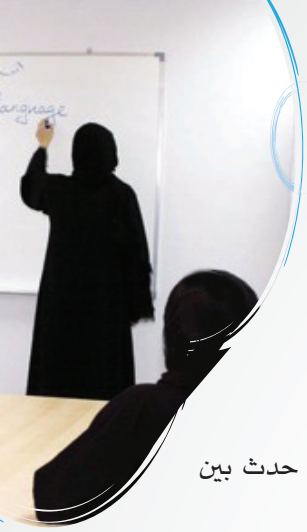

فتاةً محدودة الأفق والتفكير مثلي.. إنه لا يريد فتاة ناقصة.. أو بلا مخ كما أخبرتني معلمة الرياضيات..!

وكانت هذه قاصمة الظهر بالنسبة لي..

لقد أُصبت هذه المرة بشدة.. وفي صميم كبريائي..

استطعت تحمل الصدمة... وتجاوزت الأزمة رغم الانقطاع الكبير الذي حدث بين أهلي وبين بيت عمي.. لكني أيقنت حينها أني يجب عليَّ أن أتغير..

يجب أن أفعل شيئاً لنفسي..

واتخذت قراري بإكمال تعليمي عن طريق المنازل..

كان القرار صعباً في البداية.. وكنت مشتَّتة لأني أعود للدراسة بعد ثلاثة أعوام من نسيانها.. لكنَّ عزيمتي كانت أقوى من أي صعوبات.. توكلت على الله.. وعزمت على التفوق، وليس النجاح فقط في دراستي..

وبالفعل استطعت بعد سنوات اجتياز الصف الأول الثانوي وبتقدير جيد جداً.. وهو ما لم أحلم به في حياتي..

وبعد ذلك شعرت أنِّي بحاجة لشيء يشغل وقت فراغي طوال العام.. فقررت الالتحاق بدار التحفيظ الجديدة التي فُتحت قرب بيتنا..

وبالفعل التحقت بها وانسجمت مع المدرسات والطالبات، وشعرت أني بدأت حياة جديدة.. فقد كان الجو ودوداً جدًّا.. وتحمست جدًّا لحفظ القرآن الكريم..

وذات مرة.. أشادت بي المعلمة، وقالت: إنَّ لي حافظة قوية.. فطأطأت رأسي، وقلت لها بخجل: (أنت تجاملينني؛ فأنا طوال عمري كسولة، ولا أملك قدرات عقلية مثل غيري)..

نظرت إليَّ أبلة (هناء) باستغراب، وقالت: (ومن قال لك ذلك؟!)..

قلت لها: (معلمة الرياضيات قبل ثمان سنوات!!)..

عندها قالت لي وهي تبتسم: (على العكس تماماً، أنت إنسانة ذكية، ونبيهة جدًّا.. ربما كانت فقط ظروفُك هي المؤثرة سلباً عليك، وحينما كبرتِ واستطعت تجاوز هذه الظروف؛ ظهرتْ

قدراتك العقلية التي كانت خافيةً بسبب الإهمال، وبسبب الظروف القاسية)..

لم أستطع حبس دمعة ساخنة في عينيَّ.. فطوال عمري لم أشكُ لأحد معاناتي الحقيقية التي كنت أحاول اعتبارها أمراً عادياً.. لذا لم أشعر بنفسي إلا وأنا أسرد لمعلمتي شريط حياتي بكل آلامه..

حكيت لها عن: قسوة أمي، وعدم اهتمامها بي، ولا بنظافتي، ولا تعليمي، وتربيتي منذ الطفولة، وحكيت عن أبي: الذي لا نراه إلا نادراً بسبب انشغاله بزوجته الجديدة، ثم طلاقه، وزواجه من جديد.. حكيت لها عن تقتير أبي علينا، وحرماننا من أبسط احتياجاتنا.. وعن أسرتنا حيث المشاعر لا أهمية لها، ولا مكان سوى للقسوة، والحدَّة في التعامل.. وحكيت لها: كيف شاهدت أمي تُضْرَبُ عدة مرات من قبل أبي.. وكيف سُجن أخي عدة مرات بسبب العصابة الفاسدة التي يصاحبها، وعن الديون التي أثقلت كاهل أبي، ودفعته لخلافات كثيرة مع إخوته.. حكيت لها كل ما كان يعتمل بقلبي، ويكبت أنفاسي منذ سنوات.. ثم حكيت لها عن قصة مساعد، وكيف رفضني بسبب كسلي وغبائي..

وشعرت بالحرج.. كيف أخبرتها عن ذلك كله؟!!.. لكنها ابتسمت لي، وربتَّت على كتفي، وقالت: (عزيزتي (نفلة).. الإنسان هو ما يطمح أن يكون!!.. مهما كانت ظروفه.. أنت الآن على أعتاب طريقك الصحيح فاستمرِّي فيه، وسوف تصلين بإذن الله، وتصبحين الإنسانة المحترمة التي تطمحين لأن تكوني إياها.. ثم.. انظري دائماً للجانب الأفضل.. أنت رغم كل الظروف كنتِ وما زلت (نفلة) الطيبة المحبوبة التي يحبها الجميع لطيبتها، ومرحها.. كما كنت (نفلة) الخلوقة الصالحة التي لم تَنْسَقْ وراء المغريات، أو تنحرف كما تعلل الكثيرات أسباب انحرافهنَّ بظروف الأسرة.. أنتِ استطعتِ مقاومة كل ذلك.. وبالإضافة إليه طورت نفسك، وشققت طريقك نحو النجاح في الدنيا.. والآخرة.. لقد نجحتِ في الدراسة، ونجحتِ في حفظ نصف القرآن في سنة واحدة، وهذا إنجاز كبير جدًّا ورائع يا نفلة.. أنت إنسانة رائعة وموهوبة ما شاء الله)..

نظرت إليَّ مرة أخرى، ثم قالت، وهي تبتسم: (وسيعوِّضك الله من هو خير من مساعد، فلا تقنطي من رحمة الله، واستمري في طريقك)..

انسابت كلمات معلمتي كالماء الزلال على الأرض العطشى المتشقِّقة؛ فتشربتها بعطش، وارتاحت لها نفسي، وشعرت أني أُعطيت دافعاً قوياً للسير نحو النجاح..

والحمد لله بعد عام آخر تخرجت في الثانوية بتقدير لم يتوقعه أحد، كما أتممت ختم

كتاب الله في نفس السنة، وفي نفس السنة أيضاً.. تقدم لخطبتي أحدُ أقاربنا الذي لم أتوقع يوماً أن يخطبني.. لقد كان مهندساً، وقادماً للتو من الخارج بعد إكمال دراسته، وكان يبحث عن فتاة صالحة.. لقد شعرت لوهلة أنَّ هذا كثير عليَّ.. بعد هذه السنوات كنت أتوقع أن أحظى بأقل من هذا بكثير.. لكن الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء..

وتزوجت، وعشت في سعادة ولله الحمد.. وشجعني زوجي على إكمال دراستي الجامعية بالانتساب..

وفي حفل تخريج الخاتمات لكتاب الله... كنت أتهادى في سيري، وأنا حامل في شهري الأخير.. وقد اجتزتُ السنة الجامعية الأولى في كلية الدعوة، وبتقدير امتياز..

وفي لحظة تسلمي للشهادة شعرت بدموعي الساخنة تترقرق من عيني، وتمنيت لو التفت فأرى معلمتي في الرياضيات هنا بين صفوف الحاضرات..

أفضل موقف

طهارة جذابة.. وبراءة مشرقة تكتنزها ملامح طفولية عذبة، اكتنفتني في حلقة ذكر مع وجوه صغيرة... كل منهن تحكي فعل نفسها بنبرات بالغة البراءة مستجلبة بها المديح؛ فتقول إحداهنَّ: أمي لا تشتري لي ملابس بها صور، وثانية: أنا لا أرى الدش مع إخوتي، وثالثة: أنا والدي يوقظني لصلاة الفجر، ورابعة: أنا لا ألبس البنطال.. أمي تقول إنه لباس الكافرات، أما الخامسة ذات الثماني سنوات فجعلت تنظر بدهشة، ثم انتقلت بنظراتها إليَّ، وقد اكتست ملامحها بالبراءة مع الاندهاش الطفولي، وقالت: هل المسلمة إذا لبست البنطال تصبح كافرة..؟!!

فأجبتها: لا تكون كافرة، لكنها تكون عاصية لله – عز وجل -؛ لأنَّ من لبست البنطال تتشبه بالرجال، وقلَّدت الكافرات، فهي لا تلتزم أمر الله – عز وجل – فتكون معرَّضة لعقابه إن لم يغفر لها. وما أردتُ من إجابتي هذه إلا التأسيس والبناء في نفوس بريئة. فأطرقت هذه الصغيرة برأسها إلى الأسفل تقلب بصرها في الأرض بعينين ملؤهما الأسى والألم، فرفعتُ بيدي رأسها الصغير مخاطبة لها: أي صغيرتي، سؤالك وقد أجبناه، فما الذي آلمك..؟!

فقالتْ وقسمات وجهها تعلوها دمعة في عينيها: أمي.. تلبس البنطال.. وضيق أيضاً.. هل ستدخل النار...؟! ثم أتبعت بعد هنيهة بقولها: والدي يرضى لها ذلك ويريده...!!

التعليق:

طفلة صغيرةٌ حمَلتْ هم أُمها، ولم تحمِل هذه الأم هَمهَّا، ولا هَمَّ أُمتها..!

أواه ماذا عسى أن يكون جيل نساء الفضائيات والبنطالات؟! قلوب غضة، ودائع عند أمهاتها، لَبِنَاتٌ صغيرة نرجوها غداً لأمتنا مجداً وعزًّا، ما حالهن.. وهن تحت أيادي نساء خواء؟!

نبني ويهدمون!!

وما أيسر الهدم عند البناء! كيف ووسائل الهدم كثيرة، وأياديه أكثر؟! نظرة عابرة على اهتمامات بعض نسائنا اليوم تملي علينا تجديد الهمة، والتشمير عن سواعد الجد في الدعوة لعل الله أن يهديهن إلى صراطه المستقيم، وشرعه الحكيم فيربين ذرياتهن عليه.

لَكَم أخشى على الجيل الجديد ما قاله معروف الرصافي – رحمه الله -:

فكيف تظنُّ بالأبناء خيرا * إذا نشؤوا بحضن السافلاتِ؟!**

وهل يُرجى للأطفال كمال * إذا ارتضعوا ثدي الناقصاتِ؟!**

وليس النبتُ ينبت في جِنان * كمثل النبت ينبت في الفلاةِ**

صغيرة ... ولكن بقلب كبير

ذكر أحد الدعاة المعروفين ممن يجوبون الأرض شرقاً وغرباً.. أنه كان في رحلة إلى بلاد الفلبين تجاوزت حدود المدن، وامتدت إلى القرى، والأرياف.. حتى وصل إلى بلدة ريفية نائية فيها مدرسة إسلامية صغيرة تئنُّ من شدة الحاجة، وتنوء بحمل سقفها الذي أهلكته السنون! فكان أن حَلَّوا ضيوفاً عليهم، فبادر أهل القرية في فرح ومحبة لأهل هذه البلاد ودعاتها، إلى جمع طعام غدائهم، وتقديمه للضيوف، وتلا ذلك حفل للمدرسة أُعِدَّ على عجلة من الأمر، شارك في تقديم فقراته الطلبة والمدرسون..

قال الداعية: فخرجَتْ طفلةٌ صغيرةٌ لا يتجاوز عمرها السابعة، وألقت علينا قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس (وهي قصيدة حزينة تحكي سقوط الأندلس، وتشرح حال أهلها) **حتى وصلت إلى البيت المشهور:**

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدِ * إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمان**

فبكت بكاءً حاراً؛ أبكى الحضور!

قال الداعية: تعجبت من حفظ هذه الصغيرة لهذه القصيدة العصماء مع أنها أعجمية، ثم هي تحنُّ لبلاد الإسلام، وترى أن الأندلس قطعة منَّا ومنها، وتبكي لسقوطه، وإن مضت قرون طويلة على الحدث، إلا أن النسيان لم يطوِ شراع حزنه!

القلوب تختلف، والبكاء يختلف! هناك امرأة تبكي بسبب لون فستان أو حذاء اشترته ولم يعجبها، وهناك شاب يبكي بسبب هزيمة ناديه المفضل... وهناك طفلة في أقصى الأرض تبكي سقوط الأندلس، وتتحسر على ضياعه!

أسرة كاملة تستقيم بخمسة ريالات !

بعد تخرجه في الجامعة عُين مدرساً في مدرسة ابتدائية؛ فشعر بعظم المسؤولية والأمانة، ها هم فلذات الأكباد بين يديه، سأل نفسه: إن الأب لا يُسلِّم ابنه لأحد بطوعه واختياره إلا للمدرسة، إنه يمضي بها ست ساعات دون أن يفكر الأب في مصير ابنه، وماذا يتلقى؟ لا إله إلا الله! ما أعظمها من مسؤولية!!

كان يفكر دائماً في دعوة الناشئة إلى الخير، يجد منهم قبولاً كبيراً عكس ما يسمعه من زملائه من أنهم صغار لا يفقهون ما يقول. لقد وجدهم يبادرون إلى الصدقة إن حدثهم عن فضلها، وسمع من آبائهم أن الأبناء الصغار يحرصون على الصلاة في المسجد.. بل وحتى صلاة الفجر التي هجرها أكثر المسلمين إلا من رحم ربك.. قائلين: لقد حدثنا الأستاذ عن فضلها!! واستطاع أن يجعل جُلَّ الطلاب يلتحقون بحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، ويحفظون كتاب الله.. كان يزورهم في المساجد، ويحمل الهدايا.. وهمه أن ينال أجرهم.. أحبه الطلاب كثيراً.. وأحبهم أكثر.. لم يكن يتردد عن (حصص الانتظار)، بل يبادر إليها فهمُّه أكبر من هم الآخرين.. فلم تكن ثِقلاً كما يعتبرها غيره.

سأل الطلاب: من يرغب منكم أن يصبح داعية إلى الله؟

أجابوا جميعاً: كلنا نريد!

- إذاً فلنبدأ على بركة الله.. ليحضر كل واحد منكم شريطاً نافعاً من تلاوة القرآن، أو المحاضرات المناسبة.

وبعد أن أحضرها الطلاب.. جعلهم يتبادلون الأشرطة بينهم، بحيث يدور الشريط على كل الطلاب، وأوصاهم أن يُسمعوا الأشرطة لأهلهم!!

واستمر المشروع الدعوي المبارك بعد أن جعل طالباً مسؤولاً عن الإعارة.. ثم انتقل إلى الكتيبات الإسلامية.

وذات يوم.. حمل إليه أحد الطلاب رسالة خاصة.. فتحها فقرأ:

أيها المربي الفاضل.. هذه رسالة شكر وعتاب.. فلا تتصور كم كان أثر الشريط الذي أحضره أخي الأصغر.. نعم لقد قلب هذا الشريط حياة أسرة بأكملها.. أسرةٌ لا همَّ لها إلا التمتع بملذات الحياة. فوالدنا ترك لنا الحبل على الغارب.. وأمي لا تعرف عن دينها شيئاً.. فكانت

حياتنا بعيدة عن منهج الله.. الصلاة هي آخر ما نفكر فيه.. فلم تكن يوماً تُطرح موضوعاً في بيتنا.. فلم نؤمر بها فضلاً عن أن نُضرب على تركها!!

هذه حياتنا.. لهو وعبث.. نلهث خلف مغريات الدنيا.. الأولاد خلف الفن والرياضة والسفر.. أما نحن - البنات - فلا همَّ لنا إلا الأسواق، وتتبع الموضات، ومتابعة المسلسلات والأفلام.. وحتى المباريات!!ولكنني أعرف من نفسي أنَّ هناك فراغاً روحياً قاتلاً أحمله.. هناك ضنك أعيشه.. ورغم أنني جامعية، وفي كلية علمية.. ومتفوقة في دراستي، إلا أن السعادة الحقيقية كانت مفقودة تماماً في حياتي، حتى جاء أخي فأعطاني شريطاً شدَّني عنوانه: إنه عن السعادة! قلت في نفسي.. لأستمع إليه.. فأرى مفهوم المتديِّنين عن السعادة فاستمعت إليه.. ثم أعدته ثانية وثالثة في ليلتي تلك.. كانت كلمات الشيخ – وفقه الله – كأنها موجهة إليَّ.. أشعر به يناديني بقوة: هلمي إلى طريق السعادة الحقيقية الذي افتقدتيه، أشعر وكأنّه يهزُّني بعنف: إنّك تعيشين وهم السعادة، لا حقيقتها.. هالني ما نقل من اعترافات مَن كنت أظنهم أسعد السعداء!!

نعم.. لقد كان النداءَ الأول الذي أيقظني من رقدةٍ طالت مدتها.. لقد أمضيت إجازتي الأسبوعية.. أفكر في حديث الشيخ.. وأنتظر الشريط القادم من أخي.. وقد أوصيته بذلك.. انتظرت أخي على أحر من الجمر: ها هو يحضر لي شريطاً عنوانه أرعبني.. وكأنه النذير الأخير: انتبه.. فقد لا يترحم عليك!! أخذت الشريط قبل الغداء؛ فاستمعت إليه.. كانت خطبة مؤثرة جدًّا.. فبكيت.. وبكيت.. أهذا مصيري.. إن أنا متُّ، وأنا تاركة للصلاة.. لا أُغَسَّلُ!! ولا أُكَفَّنُ!! لا يُصلَّى عليَّ!! يا للخزي في الدنيا والآخرة.. لم أتناول الغداء.. ذهبت مسرعة.. توضأت وصليت الظهر، وبقيت في سجادتي أدعو الله أن يغفر لي ما أسلفت..

وقبل أن أنهي رسالتي.. اعذرني إن قلت لكم أيها المربون: لقد قصرتم كثيراً كثيراً.. فأبناؤنا بين أيديكم أمانة.. وهم رسل خير إلى أهليهم.. فاتقوا الله وأدُّوا الأمانة كما ينبغي.

فكم هم الحيارى أمثالي.. يملكون من المال أوفره، ولكنهم يفتقدون الكلمة الطيبة.. رغم قلة ثمنها كما علمت!!

أيها المربي الفاضل: نعم لقد تغيَّرت أسرة كاملة بخمسة ريالات فقط، فهل أنتم مواصلون؟!

الحديث الذي غير حياتي !!

هذه الآيات عظيمة فهي تتحدث عن التوبة، ولأن التوبة أمرها عظيم فإنِّي سأخصص هذا الدرس للحديث عنها، وعن شروطها، وعن أهميتها.. فباب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها.. بهذه الكلمات القليلة بدأت معلمتي الحديث. لا أعلم ما الذي دفعني للإنصات إليها بعمق، فهي ليست عادتي، إذ لا تستهويني هذه المواضيع البتة، بل تجلب لي النعاس؛ فأجدها فرصة لأغطَّ في نوم عميق، لا يوقظني منه إلا صوت الجرس، أو صديقتي التي تعلمني بانتهاء الدرس، أو المحاضرة التي تقام في مدرستنا بين الحين والآخر.

أنصتُّ بكل جوارحي، وأخذتني عذوبة صوتها، وصدق عاطفتها، وهذا الصدق العظيم من الشفقة في ثنايا حديثها، الأجر، الصبر، الحسنات، السيئات، الجنة، النار... كلمات سمعتها كثيراً لكنها لم تجبرني على الوقوف عندها مثل هذه المرة؛ فأصابتني رِعدةٌ سرت في جسدي كله، وانتفضت على إثرها فزدت انتباهاً، أدركت أن رحمة الله ولطفه بي وراء ذلك كله، فهذه ليست المرة الأولى التي أُجبر على سماع مثل هذا الحديث خاصة في المدرسة، ولكن الله سبحانه أراد لي الخير؛ فساقه على لسان هذه المعلمة، فله الحمد والمنة.

دقَّ الجرس إيذاناً بانتهاء الحصة الأخيرة.

خرجت المعلمة، وتبعتها ببصري، وشرد ذهني، ليت الزمن توقف عند تلك اللحظة التي ختمت فيها حديثها بتلك النصيحة الثمينة بتقوى الله، وطاعته في كل حين، ليتها ظلت تتحدث دون انقطاع، لقد صادف غيث حديثها أرضاً عطشى شربت الماء؛ وارتوت جذورُ إيمانها الميتة في أعماقها، فعادت إليها الحياة، واهتزت وربت.

حملت حقيبتي على كتفي، وسرت بتثاقل، جذبتني صديقتي، وغمزتني أخرى، وبدأن يطلقن التعليقات، وأنا في انصراف عنهنَّ، أَسبَحُ في عالم آخر، وأُحلِّق في فضائه، أُقلِّبَ النظر في أمري، وأبدأ في تقييم نفسي: ماذا لو جُعلت لي درجةً من عشرة في كل عباداتي وسلوكي؟! ترى كم سأكسب؟! الصلاة صفر من عشرة، الصدق صفر من عشرة، والأمانة صفر من عشرة، وبر الوالدين صفران من عشرة.. يا إلهي ما أفظع حالي!! إنَّني في الحضيض أرقد في قذارة الدنيا ونتنها!!! متعتي مع ثُلة من الصديقات التافهات، ننتشي طرباً لفوز فريقنا المفضل، ونتبادل أشرطة الغناء المصوَّرة بفرح، ونتابع المسلسلات، ونحتفظ بصور الفنانين والفنانات!!! ونستمتع بهمز المعلمات، والانتقاص من قدرهنَّ، والسخرية بالزميلات، ورميهنَّ بالألقاب السيئة، ولا يكتمل أُنسنا إلا بالوقوف في آخر الفصل، أو سماع عبارات اللوم والتقريع من المعلمة على إهمالنا في الواجبات، أو إخفاقنا في الاختبارات!!

وصلت إلى البيت في جوٍّ من الذهول عما حولي، اغتسلت مباشرة، وبحثت عن سجادتي التي كثيراً ما أهجرها، وصليت صلاةً ناجيتُ فيها الله، واستغفرته كثيراً؛ ثم بكيت كثيراً.

كان ذلك اليوم بدايةَ التحول في حياتي من فتاة جامدة كالثلج، قاسية كالصخر إلى فتاة مفعمة بالحيوية والنشاط، متدفقة بالحب والعاطفة، مقبلة على الله بكل جوارحها.

استيقظت واتجهت فوراً إلى والدتي، وقبَّلت رأسها، وسألتها أن تدعو لي كثيراً؛ فهي لم تَرَ مني خيراً قط، أجادلها في كل شيء، ولا أعيرها اهتماماً، لا أجلس معها، ولا أحادثها، ولا أساعدها في عمل البيت، أتذمَّر حين تطلب مني شيئاً، بينما أريدها أن تجيب كل طلباتي، ووالدي الذي هو في نظري خزانة نقود أفتحها لآخذ منها حاجتي ثم أغلقها، ولا أعود إليها إلا حين الحاجة، بدأت أتودد إليه، وأجلس معه، وأسأله عن حاجته، أعدُّ له الشاي، وأكوي له ثيابه، وأنا أحاول أن أتقن ذلك؛ حتى أرضيه، فحق الوالدين عظيم، وهو مقدم على الجهاد في سبيل الله.

لقد وجدت صعوبةً في بادئ الأمر، ولكني قسرت نفسي على هذا، وعوَّدتها عليه، وألزمتها به؛ حتى اعتادته، وألفته، وهان عليها عمله.

لقد تفقدتُ أعمالي الأخرى، الصلاة عمود الدين؛ صرت أسعى لها باكراً، وأتجهز قبل الأذان، وأجلس في مصلاي أدعو أو أقرأ القرآن حتى يؤذن المؤذن، كم كانت صلاتي تشكو حالها من التقصير والهجران والتأخير والنسيان وفي أحسن الأحوال كنت أنقرها كنقر الغراب كأنما أَمُنُّ بها على الله – تعالى –.

وحجابي كان له نصيب من التغيير، فقد عاد إلى مكانه الطبيعي، وتربع فوق رأسي ثانيةً كالتاج ألفُّ به عفافي، لقد سَخِرَتْ مني زميلاتي؛ لكن تراجعن، ولذن بالصمت المرِّ حيال ثباتي وصمودي.

أشياء كثيرة كانت تحتاج إلى تغيير، وذنوب أكثر أسرفت فيها على نفسي، عالجتها بالتوبة، وصدق اللجوء إلى الله، وكثرة الدعاء، والإلحاح في المسألة، حتى وجدت لذلك أثراً؛ فاستطعت بحمد الله أن أُهذِّب أخلاقي، فنبذت الكلام البذيء، وتركت السخرية بالآخرين، وأرغمت نفسي على احترام مَنْ هم فوقي، وعاهدت نفسي على الصدق، وبدأت في إشاعة جو من الود معطر بالحب، والاحترام في بيتنا؛ لأُري والديَّ ما كانا يحلمان به في ابنتهما الكبرى، فكان من نتائج ذلك أن استجابا لي، وأخرجا ذلك الطبق الخبيث المتربع في سطح بيتنا، فالحمد لله أولاً وآخراً.

ما ألذَّ التوبة!! وما أحلى الرجوع إلى الله!! فرقٌ بين حياة تعيش فيها لشهواتك، وحياة تعيش فيها لربك وخالقك، حياةٌ عابثةٌ لاهية ليس فيها هدف ولا غاية، وحياة تضبط فيها حركاتك،

وسكناتك، وفق هدف محدد، وغاية عظيمة، ألا وهي رضا الله سبحانه... لقد ظفرت براحة القلب، ورضا الوالدين، واحترام الآخرين، فما أجملَ العيش في ظل التوبة!! **قال تعالى:** ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (القصص: ٦٧).

التعليق: ترى كم من فتاة أو فتى صلحت أحوالهم بكلمة من معلمة أو معلم؟!

وليت كل المعلمات بل والمعلمين يحرصون أشد الحرص على التوجيه والإرشاد؛ فقدوتهم معلم البشرية ﷺ، بدلاً من أن يُنزلوا أنفسهم منزلة الأجراء الشحيحين!!.

الفصل الخامس

أهمية استغلال جميع المواقف

بذرة الخير

إن الإنسان مهما بلغ فساده وطغيانه فإن في قلبه بذرة من الخير، إذا استطعنا الوصول إليها، ثم قمنا باستنباتها، ورعايتها؛ أثمرت، وأينعت بإذن الله تعالى..

إن بذرة الخير تظل في نفس الإنسان، وإنْ عَلَتْها غشاوة الهوى، فإذا أراد الله بعبده خيراً يسر له موقفاً مؤثراً، أو كلمة صادقة من داعية موفق، أو هدية رمزية، ولو كانت كتاباً، أو سيديا، أو حتى نشرةً صغيرةً؛ فتكون سبب إشراق نور الهداية في قلبه، وسلوكه سبيل المهتدين في منهج حياته..

ونؤكد هنا أن الصلاح والاستقامة ليس بالضرورة أن تأتي سريعاً، بل يكون الاستصلاح قليلاً قليلاً؛ حتى يكتمل الإيمان، ويقتنع الإنسان بأهمية الابتعاد عن خطوات الشيطان.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢٥).

نور الهداية

كنت عائداً من سفر طويل، وقدَّر الله – تعالى – أن يكون مكاني في مقعد الطائرة بجوار ثلَّة من الشباب العابث اللاهي الذين تعالت ضحكاتهم، وكثر ضجيجهم، وامتلأ المكان بسحاب متراكم من دخان سجائرهم، ومن حكمة الله – تعالى – أن الطائرة كانت ممتلئة تماماً بالركاب؛ فلم أتمكن من تغيير المقعد.

حاولتُ أن أهرب من هذا المأزق بالفرار إلى النوم، ولكن هيهاتَ هيهاتَ... فلما ضجرتُ أخرجتُ المصحف، ورحتُ أقرأ ما تيسر من القرآن الكريم بصوت منخفض، وما هي إلا لحظات حتى هدأ بعض هؤلاء الشباب، وراح بعضهم يقرأ جريدةً كانت بيده، ومنهم من استسلم للنوم.

وفجأةً قال لي أحدهم بصوت مرتفع – وكان بجواري تماماً – يكفي، يكفي..!!

فظننت أني أثقلت عليه برفع الصوت، فاعتذرت إليه، ثم عدت للقراءة بصوت هامس لا أُسْمِعُ به إلا نفسي، فرأيته يضم رأسه بين يديه، ثم يتململ في جلسته، ويتحرك كثيراً ثم رفع رأسه إليَّ، وقال بانفعال شديد: أرجوك يكفي.. يكفي.. لا أستطيع الصبر..!!

ثم قام من مقعده، وغاب عنِّي فترة من الزمن، ثم عادَ ثانيةً، وسلَّم عليَّ معتذراً متأسفاً، وسكت، وأنا لا أدري ما الذي يجري! ولكنه بعد قليل من الصمت التفت إليَّ وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وقال لي هامساً: ثلاث سنوات، أو أكثر، لم أضع فيها جبهتي على الأرض، ولم أقرأ فيها آية واحدة قط..!

وها هو ذا شهر كامل قضيته في هذا السفر، ما عرفت منكراً إلا ولغت فيه، ثم رأيتك تقرأ، فاسودت الدنيا في وجهي، وانقبض صدري، وأحسست بالاختناق، نعم... أحسست أنَّ كل آية تقرؤها تتنزل على جسدي كالسياط..!

فقلت في نفسي: إلى متى هذه الغفلة؟! وإلى أين أسير في هذا الطريق؟! وماذا بعد كل هذا العبث واللهو؟!

ثم ذهبت إلى دورة المياه، أتدري لماذا؟!

أحسست برغبة شديدة في البكاء، ولم أجد مكاناً أستتر فيه عن أعين الناس إلا ذلك المكان!!

فكلمته كلاماً عاماً عن: التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله.. ثم سكتُ.

لما نَزَلَتْ الطائرة أرض المطار، استوقفني وكأنه يريد أن يبتعد عن أصحابه، وسألني وعلامات الجدِّ بادية على وجهه: أتظن أنه الله يتوب عليَّ؟!

فقلتُ له: ألم تسمع قول الله – تعالى -: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر: ٥٣).

فرأيته يبتسم ابتسامة السعادة، وعيناه مليئتان بالدموع، ثم ودعني ومضى..!

سبحان الله العظيم..!

توبة حداثية، لماذا؟ وكيف ؟؟

اليوم أقلِّد قلمي شَرَفَ هتك أسرارِ الضياع.

لم تكن توبتي نتيجة ظروفٍ قاسية، أو محنة عارضة، بل كنتُ أنعم بكل أشكال الترف، والحرية في كل شيء، وكنت أجسد العلمنة بكلِّ معانيها، وكانت أفكارُ الحداثيين وخططهم نهجي ودستوري، وكتبهم مرصوصة في مكتبتي، وقلمي تتلمذ على أشعار نزار قباني، ورَميُ الحجاب حُلم يداعب خيالي، وقيادة السيارة قضيتي الأولى أتحدث بها في كل مناسبة، وأستغلُّ ظروف من هم حولي لإقناعهم بضرورتها، تمنيت أن أكون أول من تترجم فكرة القيادة إلى واقعٍ ملموس، ولطالما سهرتُ الليالي أخطط فيها لتحقيق الحلم.

أما تحرير المرأة السعودية من معتقدات وأفكار القرون البالية، وتثقيفها، وزرع مقاومة الرجل في ذاتها، فلقد تشربتها، وتشربتها خلايا عقلي، وسعيت جاهدة لتسليط الضوء على جبروت الرجل السعودي وأنانيته، وقدمتُ الرجل المتحرر على طبق من ذهب: إنه يفهم المرأة، وقد استخرج كنوز أنوثتها وقدمها معه جنباً إلى جنب، وشوَّهت صورة الرجل المتدين على أنه اكتسب الخشونة والرعونة من الصحراء، وتعامل مع الأنثى كما تعامل مع نوقه، فهو يسوقها بين القفار.

كانت الموسيقى غذاء الروح (كما كنت أسميها) هي نديمي من الصباح إلى الفجر، أما الرقص بكل أنواعه فقد جعلته رياضة تعالج تخمة الهموم، ونظريات فرويد كنت أدعمها في كل حين بأمثلة واقعية، وأَنسِبُ المشاكل الزوجية إلى الكبت، والعقد من آثار أساليب التربية القديمة التي استعملها أهلنا معنا، وكانت أفكاري تجد بين المجتمع النسائي صيتاً عالياً ومميَّزاً.

سِرتُ على هذا النمط سنين عديدة، وفي يوم من الأيام وأنا في أحد الأسواق كنت جالسة في ساحته، لفت نظري شابٌ متدينٌ بهيئته التي تدلُّ على التدين، ثوبٌ قصير، وسير هادئ، وعيون مغضوضة، أظنه في سن ما بعد العشرين، وبدأ عقلي الضالُّ يعمل: أعجبني هدوؤه، وراودتني بعدها أفكار غريبة – غريبة عليَّ جدًّا –، علامات الرضا بادية على محياه، خطواته ثابتة رغم أن قضيته في نظري خاسرة، هو والقِلّة التي ينتمي إليها (يتحدَّون مارداً جباراً: التقدم والحضارة)، ولا يزالون يناضلون، سخرت بداخلي منه ومنهم، لكني لم أنكر إعجابي بثباتهم، فقد كنت أحترم من يعتنق الفكرة، ويثبت عليها رغم الجهود المتواضعة، وقلة العدد، وصعوبة إقناع البشر بالكبت، كما كنت أسميه، حاولت أن أحلل الموضوع؛ فقلت في نفسي: ربما هؤلاء الملتزمون تدينوا نتيجة الفشل، فأخذوا الدين شعاراتٍ ليشار إليهم بالبنان، لكن منهم العلماء، والدكاترة وماضٍ عريق قد ملكوا الدنيا حيناً من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، أو ربما هو الترفع عن الرغبات؛

وعند هذه النقطة بالذات اختلطت عليَّ الأمور – الترفع عن الرغبات معناه الكبت – والكبت لا ينتج حضارة، حاولت أن أتناسى هذا الحوار مع نفسي، لكنَّ عقلي أبى عليَّ، ولم يصمت، ومنذ ذلك الوقت وأنا في حَيرة؛ فقدت معها اللذة التي كنت أجدها بين كتبي و أنواع الموسيقى والرقص، ومع الناس كافة، علمتُ أنَّني فقدت شيئاً، لكن ما هو؟؟ لست أدري! اختليت بنفسي لأعرفَ علَّتي، وطرقت أبواب الطب النفسي دون جدوى، فقدت الإحساس السابق، بل لا أشعر بأي شيء، كلُّ شيء بلا طعم، ولا لون، ورجعت مرة أخرى لنقطة البداية: متى كان التغير؟؟ إنه بعد ذلك الحوار تساءلت: كل ما أتمنى أستطيع أخذه ما الذي يحدث لي إذاً؟! أين ضحكاتي المجلجلة؟؟! وحواراتي التي ما خسرتُ فيها يوماً؟؟! جلسات السمر والرقص؟؟! كيف ثقل جسدي بهذا الشكل؟؟!

وكلما حاولت أن أكتبَ أجدُني أسير بقلمي بشكلٍ عشوائي؛ لأملأ الصفحة البيضاء بخطوط وأشكال لا معنى لها، غير أنَّ بداخلي إعصاراً من حيرة، بدأت أتساءل هذه الموسيقى المنسابة إلى مسمعي لم أعد أشعر بروعتها، لو كانت غذاء الروح لكانت روحي الآن روضةً خضراء، أو تلك الكتب التي احترمتُ كُتَّابها وصدقَّتهم، لمَ تخذلني الآن كلماتهم، ولا تشعل حماسي كما كانت؟ وهنا لاح سؤال صاعق: هل هم فعلاً أفضلَ منا – تقصد الغربيين -؟؟

هل هم فعلاً أفضل منا؟؟

وبماذا أفضل؟؟ تكنولوجيّا؟؟

وبماذا خدمت التكنولوجيا المرأة عندهم؟؟ خدمت الرجل الغربي، والمرأة أين مكانها؟؟ معه في العمل!! وأخرى في المرقص تتراقص على أنغام الآلات التي اخترعها الرجل!! وأخرى ساقية للخمر الذي صنعه الرجل ونوَّع في أسمائه!! اكتشفت حقيقة أمرَّ من العلقم، الرجل تقدم وضمن رفاهيته وتملص من الحقوق والواجبات، حتى في جنونه جعل المرأة صالة عرض لكل ما يطرأ على خياله، اخترع لها رقصات بكل الأشكال، رقصت وهي واقفة، جالسة، نائمة، كما رقصت الراقصة كيفما أراد العازف، وإن أرادها ممثلة؛ مثلت كل الأدوار التي تحاكي رغباته من حب، إجرام، شذوذ، أيَّ دور وكل دور!! اكتشفتُ الخديعة الكبرى في شعار حرية المرأة، فإن نادى بها الرجل فهو ينادي بحرية الوصول إلى المرأة، ثم ماذا يقصدون بتحرير المرأة، **من الحجاب؟؟!!**

لماذا؟؟ وما الحجاب؟؟

إنه عبادةٌ كالصلاة والصوم؛ كنت سأحرم نفسي منه لولا أن تداركتني رحمة الله، يريدون أن يحرِّروني من طاعة الأب والزوج، إنهم حماتي بعد الله، يريدون أن يحرروني من الكبت،

كيف سمَّيتم العفة والطهارة كبتاً؟! كيف؟؟! ما الذي جنوه من الحرية الجنسية؟؟! أمراضاً، ضياعاً!! حرَّروا المرأة كما يزعمون، أخرجوها من بيتها تكدح كالرجل، وضاع الأطفال!! واليوم يتدارسون ضياع الأطفال، تبًّا لهم! وتبًّا لعقلي الصغير كيف صدَّقهم؟؟! كيف لم أرَ تقدمنا، والمرأة متمسكة بحجابها؟؟ كيف كنت أنادي بالقيادة؟؟ فمع قيادة المرأة السيارة يسقط الحجاب، تسقط المرأة، بعده عرفتُ علتي، وعلة الناس جميعاً:

أولاً: مشكلتنا الأساسية أننا لا نعرف عن الإسلام إلا اسمه، وعاداتٍ ورثناها عن أهلنا كأنه واقعٌ فُرض علينا.

ثانياً: لم ندرك طريقة الغزو الحقيقيَّة، خدَّرونا بالرغبات، شغلونا عن القرآن، وعلوم الدين، فهي خطة محكمة: تخدير ثم بتر، ونحن لا نعلم.

اتجهت إلى الإسلام من أول نقطة، من كتب التوحيد إلى الفقه، ومع كلمات ابن القيم عدت إلى الله، ومع إعجاز القرآن اللغوي، والتصويري، والعلميّ والفلكي ووو... ندمت على كل لحظة ضيَّعتها، أقلب فيها ناظريَّ في كتب كتبتها عقول مسخها الله، وطمس بصيرتها، كانت المعجزة أمامي هي القرآن الكريم، لم أحاول يوماً أن أفهم ما فيه، أو أبحث في تفسيره؛ أخرجت من منـزلي، ومن قلبي كلَّ آلات الضياع والغفلة، وعندها خرج اللحن من قلبي، ووجدت حلاوة الشهد تنبع من قراءة آيات القرآن، وعرفت أعظم حب: أحببت الله تعالى، لبست الحجاب الإسلامي الصحيح بخشوعٍ وطمأنينة، واقتناع بعد تسليم أشعر معه برضا الله عني، وعرفت معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٦) في سكناتي، وحركاتي، وطعامي، وشرابي، استشعرت معناها العظيم، وبت أنتظر الليل بشوق إلى مناجاة الرحمن الرحيم، أشكو إليه شدة شوقي إلى لقائه، وإلى لقاء رسوله المصطفى محمد ﷺ، وحنيناً إلى صحابته الكرام، ونسائه الطاهرات.

وأخيراً... كلمة إلى كل من تقرأ قصتي: لا ترفضوا دينكم قبل أن تتعرفوا عليه جيداً؛ لأنكم إذا عرفتموه فلن تتخلوا عنه.

فداه الأهل، والمال، والبنون، والنفس.

إيمان... وعبير

كم كانت تسحرني ابنة خالتي ذات العشرين ربيعاً بطبعها الهادئ، وسلوكياتها الرفيعة!! كم كانت تشدُّني إلى دروب الوَرَع، وسُبُل السلام بحديثها العذب، وثقافتها العريقة، وحيائها الشديد!! كانت فتاةً ذات منهج سليم في هذه الحياة المتخبطة في عالم الفتن والشهوات، كانت مخلوقاً شفافاً ينهل من الفضيلة ما استطاع ليُغدق به على سواه؛ لهذا أصبحت إيمان مضرباً للأمثال بين فتيات العائلة، حيث اتسمت بوضوح الرؤية، ورجاحة العقل، بالإضافة إلى المُثُل السامية التي كانت تترجمها إلى أعمال حميدة من خلال تعلقها الشديد بكتاب الله حفظاً، وتلاوة، وتطبيقاً.

كانت تُشْعِل غَيرتي حين آتي بسلوك خاطىء وتعاتبني أمي، **وهي تقول:**

لا أريدك أن تفعلي ذلك يا عبير، **لم لا تكوني مثل إيمان؟!**

وكنت أردُ عليها بكل شراسة:

أنا لست (إيمان) يا أمي! هي أكبر مني سنًّا!!

الحقيقة إنه لم يكن هناك – برأيي – أفضل من إيمان بين مجتمع أقاربنا، أو زميلاتي في المدرسة.

فمعظمهن للأسف منخدعات بالدنيا؛ حيث كان الطرب، والأفلام هو أكبر همهن، والموضة الأخيرة هي مظهرهن، أما إيمان فقد كانت على النقيض تماماً، كانت تجسد الإنسانة الرائعة التي لا تهمها الموضة، وكل ما كانت تفعله بعد رجوعها من مدرسة تحفيظ القرآن الكريم، وإنهاء مذكراتها اليومية، مساعدة خالتي في الأعمال المنزلية، لتأوي إلى جنتها – مصلاَّها – فتدعو الله، وتصلي بخشوع.

هكذا كانت إيمان تعيش حياتها فقط، لا غير، فجدولها اليومي متشابه تقريباً، لم تكن تعنيها، أو تهزُّها الأقوال البذيئة التي كانت تُطلق عليها من بعض المتبجِّحات ممن يدعين الحرية، والثقافة العصرية، بل كانت تتباهى بما هي عليه بثقة وعزة نفس، لتجادلهنَّ بمنطق الحق، والحكمة حتى تغلبهنَّ بل وتؤثر فيهنَّ!!

ومما أذكره في هذا الشأن أننا كنا مدعوات ذات مساء لوليمة عشاء عند إحدى قريباتنا، فقالت إحدى الحاضرات، وهي تنظر إلى إيمان بغطرسة وسخرية:

لم كلُّ هذا التشدّدِ في الدين، إنك ما زلت صغيرة.

أجابتها إيمان بهدوء:

إن الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً... إنه قدر الله الذي قد يداهمنا فجأة، ولا أحد يعرف: أين؟ ومتى؟ وكيف؟!

وقالت أخرى بامتعاض:

- ولكن الزمن قد تغير.. ويجب أن تواكبي العصر.. وتتبعي آخر خطوط الموضة.. بدلاً من هذه الملابس التي تظهرك كعجوز..!!!

قالت إيمان بثقة:

- وهل أرتدي الملابس التي تُظهر مفاتن جسدي؛ حتى أصبح متحضرة؟! وهل يجب أن أُصبح أُلعوبة في أيدي مصممي الأزياء العالميين؛ كي يُلبسونني، ويعَرُّونني كيف شاؤوا؟! أولئك الذي يسعون لإفسادي في جعلي تابعة لهم.. هل هذه هي الحضارة، أم إنها تبعية، وعبودية لشياطين الإنس؟!

علقت ثالثة باحتجاج: إنك تبالغين؛ فالله غفور رحيم.

تنهدت إيمان بخشوع، وقالت:

- أجل، وهو سبحانه شديد العقاب أيضاً.

في تلك اللحظة نظرت الحاضرات إلى بعضهن البعض بخجل، وقد بدا عليهن الحرج، والشعور بالخجل لمناقشتها، واستفزازهن لها.

ذات يوم من الأيام جاءت خالتي تزفُّ نبأ خطبة إيمان، وهي تقول بفرح: الحمد لله لقد جاء من ترضاه زوجاً لها.. رجل صالح، وتقيٌّ يليق بها.

قالت أمي بسعادة بالغة:

- مبروك يا أختي، وفقها الله ورعاها، إنَّ إيمان تستحق كل خير.

وسألتها بدوري باهتمام:

- ومتى سيتم الزفاف يا خالتي؟

- في العطلة الصيفية - إن شاء الله - العاقبة لك يا عبير.

ولم تتوقف حكايةُ إيمان عند هذا الحد، فقد جاءتني الأيام بمفاجآت مدهشة، وكان مما أثار فضولي عندما عرفت بعد قران ابنة خالتي أنها تصدَّقت بنصف مهرها!!! ليس هذا فحسب، بل ورفضت أن تقيم حفلاً كبيراً لزفافها، وآثرت أن تدعو الأهل، والأقارب فقط إلى وليمة صغيرة في منـزلهم.

الواقع أن تصَرُّفها هذا أثار تساؤلات كثيرة في نفسي... هل يمكن أن تُقدم أي فتاة على هذا التصرف في هذا العصر المليء بالنعم والترف؟! وكيف تملك إيمان كل هذه التقوى لمجابهة شرور النفس وأهوائها؟! ومن أين لها بالقوة لمحاربة الشيطان ووساوسه؟!

وأيقنت قبل أن أخوضَ معركة ضارية لأستخلص نفسي، أنَّ الالتزام هو الذي يُعِزُّ الإنسان، ويرتقي به إلى المعالي، إنسانٌ باع الدنيا ليشتري الآخرة؛ حتى يفوز برضوان المولى عز وجل، ويدخل جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

كل هذا أطفأ في قلبي جذوة السخط على ابنة خالتي إيمان، وأحلَّ محلَّها إصرارًا وعزيمة على أن أسلك مَسْلَكها، وأقتدي بها ما استطعت.. أجل، يجب أن أسير على منهجها، وأكون مثلها.

وأرجو أن يوفقني الله، ويسددني لذلك، وأدعوه أن يمنحني الثبات على هذا الطريق، إنه سميع مجيب.

ويبقى العود ما بقي اللحاء

كنت في رحلة دعويةٍ إلى بنجلاديش، مع فريق طبي أقام مخيماً لعلاج أمراض العيون، فتقدم إلى الطبيب رجل عليه سمة الوقار، ومعه زوجته بترددٍ وارْتباك، ولما أراد الطبيب المعالج أن يقترب منها؛ فإذا بها تبكي، وترتجف من الخوف، فظن الطبيب أنها تتألم من المرض، فسأل زوجَها عن ذلك، فقال – وهو يغالب دموعه-: إنها لا تبكي من الألم... بل تبكي لأنها ستضطر إلى أن تكشف وجهها لرجل أجنبي! لم تنم ليلة البارحة من القلق والارتباك، وكانت تعاتبني كثيراً، وتقول: أَوَ ترضى لي أن أكشف وجهي..؟! وما رضيتْ أن تأتي للعلاج إلا بعد أن أقسمتُ لها أيماناً مغلظة بأن الله تعالى أباح لها ذلك للاضطرار، **والله – تعالى – يقول:**

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٧٣﴾ (البقرة: ١٧٣).

فلما اقترب منها الطبيب، قالت له: هل أنت مسلم؟ قال: نعم، والحمد لله.

قالت: إن كنت مسلماً... فأسألك بالله ألا تهتك ستري، إلا إذا كنت تعلم يقيناً أن الله أباح لك ذلك..!!

أجريت لها العملية بنجاح، وأزيل الماء الأبيض، وعاد إليها بصرها بفضل الله تعالى... يقول عنها زوجها: إنها قالت له: لولا قراءة القرآن، وخدمتي لك ولأولادي لصبرت على حالي، ولا يمسُّني رجل أجنبي.

ما أعظمَ شموخَ المرأة المسلمة بعزتها وعفافها..!! وما أجمل أن ترى المرأة مصونة فخورة بحشمتها..!!

أكرم به من إيمان يتجلى في صورة عملية صادقة بعيدة عن التكلف، أو التنطع، سالمة من الرياء، وشوائب الهوى..!!

فأين أولئك النساء اللواتي كسرن طوق الحياء، وأسلمن أنفسهنَّ لدعاة الرذيلة، وأَدْعياء المدنية، وأصبحن يلهثن وراء شهواتهن، ويتبارين في التفسخ والانحلال.. أين هن من تلك المرأة العفيفة الطاهرة؟!

وَلكَم يتفطر القلب أسىً وحزناً على أولئك الفتيات الزهراوات اللواتي طاشت بهن الأهواء، وأسلمن أنفسهن بكل غفلةٍ وبلاهةٍ لكل ناعق...!!

إنَّ الحياء شعبة من شُعب الإيمان، وعنوانٌ من عناوين العفة والفضيلة، تقوم قواعده على أسس راسخة من التُقى، وأصول متينة من الصلاح، ولهذا **قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»**(١). **بل عظمَّ النبي ﷺ من شأنه فقال: «إنَّ لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء»**(٢).

ويتأكد ذلك في حق المرأة، فسترها رمز حيائها، وحجابُها دليل كرامتها، وإذا اختلَّ حياء المرأة تزلزلت أقدامها، وعصفت بها الفتن، وأصبحت سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان، ويعبث بها دهاقنة الفساد، وأئمة الهوى، (وليس لمن سُلِب الحياء صادٌّ عن قبيح، ولا زاجرٌ عن محظور؛ فهو يقدم على ما يشاء، ويأتي ما يهوى).

وقديماً قال الشاعر:

فلا والله ما في العيش خيــر * ولا الدنيا إذا ذهب الحيـاء**

يعيش المرءُ ما استحيا بخير * ويبقى العودُ ما بقي اللُّحاء**

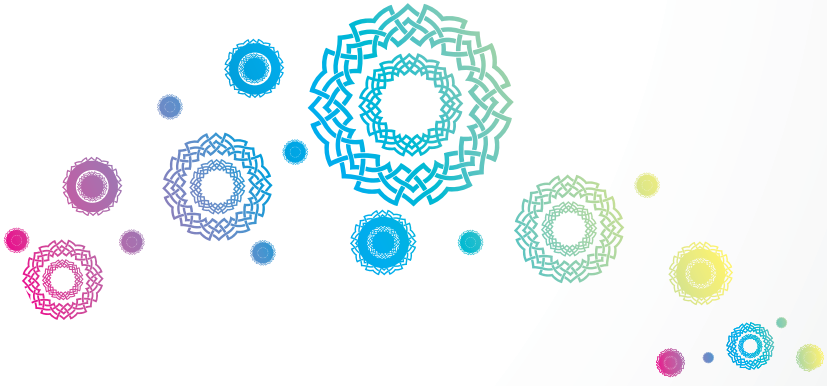

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٢) ومسلم برقم (٥٣).
(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤١٧٢) وحسنه الألباني – رحمه الله –.

بسبب شريط واحد؟

* **يقول أحد الشباب**: في ليلة مشهودة دخلت المُصلى في مدينة (مانشستر) بدولة بريطانيا، فوطئت قدمي على شريط مُلقى؛ فأخذته، ووضعته في جيبي، ثم خرجت فلما وصلت إلى شقتي وضعته في المسجل فبدأت.. أسمع.. فإذا الأمر عظيم، والخطب جسيم، وإذا أنا غافل لاهٍ، وإذا ثواب وعقاب.. فما زلت أبكي تلك الليلة، وما أصبحت إلا وأنا تائب إلى الله – عز وجل – .

نعم.. بسبب شريط!!

* **يقول شاب آخر**: قبل ١٤ عاماً كنت واقفاً عند إشارة مرور، وقد رفعت صوت الغناء فالتفت إليَّ شابٌ من السيارة المجاورة، وابتسم في وجهي، ثم مد إليَّ شريطاً.. وأضاءت الإشارة خضراء، انطلق كلٌّ منا إلى سبيله، وأما أنا فقد وضعت الشريط في المسجل فلما استمعت إليه فتح الله على قلبي، وأصبحت لا أغيب عن المحاضرات، والدروس إلى يومي هذا.

أنا لا أعرف ذلك الشاب الذي اهتديت على يديه، لكنه يكفيه أن الله يعرفه والملائكة تعرفه، وإني أعمل عملاً إلا كان في ميزانه مثل أجري.

تُرى.. كم من شابٍّ استقام أمره؟ وكم من رجل صَلُح حاله؟ وكم من مفرِّط أناب؟ وكم مذنب رجع وتاب؟ وكم.. وكم..؟ بسبب سي دي أو كتيب.

وكل ذلك في ميزان حسنات الداعي، لا ينقص من أجر العامل شيء! أليست هذه نعمة عظيمة من الله؟ فأين المشمرون؟!

كم بكيت !!

كم بكيت لأن فستاني لم يعجب الحاضرات! وكم بكيت لأن فريقي المفضل قد خسر المباراة! وكم بكيت لضياع النسخ الأصلية لأشرطة غناء فناني المفضل! وكم بكيت لعدم حصولي على عدسات ملونة تجعل عينَّي زرقاوان! كم بكيت لأنَّ تجعيدي لم يعجب الزميلات! وكم بكيت!! كدت أنتهي، وبكائي لا ينتهي.

أبكي بحثاً عن السعادة!

وبينما أنا في دياجير الظلام، وصحاري التيه، هداني ربي إلى بصيصٍ من النور ساقه إليَّ عبر شريط إسلامي كان بالنسبة لي نقطة تحوُّل، وعلامة فارقة، أسأل الله أن يُحرِّم اليد التي قدَّمته لي على النار.

وبفضل الله عدت، وما أجملها من عودة!! وبفضله بعد الله حييت، وما أجملها من حياة!! وبكيتُ، وما أجمله من بكاء!! توضأت، وأنا أبكي، كبَّرت تكبيرات الإحرام، وأنا أبكي، ركعت، وأنا أبكي، خررت ساجدة، وأنا أبكي.. ثم أجهشت بالبكاء، بكيتُ وبكيتُ، ومَنْ حولي يغطُّون في نوم عميق، اغرورقت عيناي، ودمعي يتهلَّل مبللاً سجادتي بعد أن بلَّل وجنتيَّ.

بكيتُ حسرةً وندماً: (على الماضي لأيام الغفلة دمعة)، (وللحاضر دمعة)، لكن شتان بينهما.

دمعة الماضي عذاب وإحباط، ودمعة الحاضر خشية وسعادة وأنس، أرجو أن تكون سبباً في أن يظلَّني الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله..

بين أمواج الحياة

أنا فتاة متخرجة في إحدى الكليات الشرعية.. قضيت مشواراً طويلاً بين الكتب الإسلامية، والمحاضرات الدينية.. وكحياة أي فتاة.. اعترضت طريقي بعض المواقف الصعبة... التي شلت مجاديفي.. ولم أستطع مواجهة تلك الأمواج المتلاطمة.. فتوقفت عن الحركة.

واخترت لقاربي أن يسير بي وراء تيارٍ يأخذني بعيداً. لينتهي بي الطريق إلى شاطئ امتلأ بالرقصِ، والغناء.

فاخترت لنفسي مَرْسىً تُعزف فيه الموسيقى الهادئة.. والكلمات الحزينة.. فكانت تُعبِّر لي عمَّا أكبته في صدري.. فسلَّمت لها عواطفي.. وسكبت دموعاً تنزف من قلبي..

دموعاً كانت لا تذرف إلا لذكر الله وخشيته.. حينها وبدون أي شعور.. وجدت نفسي أودِّع ملائكة كانت تحفظني.. لأستقبل مكانها شياطين زيَّنوا لي عملي.

بهذه السرعة انقلبت موازينُ حياتي.. فانحدرت كلُّ ما احتفظت به خلال السنوات الماضية، من: حفظ لكتاب الله، وثمرات جنيتُها خلال مشوار دراستي.. أصبحت أستقبل تلك الأغاني الماجنة.. وأتصيَّد ما يعجبني منها.. لأردِّدها على لسان كان رطباً بذكر الله..

فتمرُّ الأيام.. وصخب الموسيقى في كل أنحاء منزلي.. أقلب تلك الألبومات حتى سئمت كثرة ترددها..

وفي أحد الأيام وجدت نفسي تحنُّ إلى مكتبتي القديمة.. وأخرجت منها الأشرطة الدينية.. وأنا أنفض عنها أتربة النسيان.. وكنت أتساءل.. لِمَ أحسستُ بالاشتياق إليها بالرغم من طول هجرانها؟!

هل لأنِّي مللت تلك الأغاني المتكررة؟!

أم لأتدارك نفسي.. وأوقظ قلباً طال رقاده؟!

أسئلة كانت تدور في ذهني لا أجد لها جواباً.. ففتحت أحد تلك الأشرطة.. وكان نشيداً إسلامياً يردد أبياتاً شعرية قائلاً:

رأيتُ الذنوبَ تميت القلوبَ * وقد يورث الذُّلَّ إدمانُها**

وتركُ الذنوب حياةُ القلوب * وخيرٌ لنفسك عصيانُها**

فبعد أن استمعت إلى تلك الأبيات، بدأت أقلبها في ذهني، وأنا أرددها على لساني.

وتساءلت: هل من المعقول أن بيتين جمعا بين موت القلوب وحياتها.. والذي فرَّق بين الموت والحياة هو ترك الذنوب؟!

عندها أحسست بماء بارد يُطْفِئُ لهب أشجاني.. ويروي عطشي.. ويغسل ذنوباً تسكن في قلبي.

فَنبَضَت عروقي من جديد.. وهي تزفُّ البشرى إلى جسمي المريض.. فانزاحت غمامةٌ سوداء من فوق عيني لتجعلني أُبصر من جديد.. وأستعيد قوَّتي..

لأحطِّم ما بيدي من أشرطةٍ ماجنة..

ودموع الندامة قد صعب عليَّ إيقافها، تنهمر على وجنتيَّ.

وكلُّ عرقٍ في جسدي يردد قائلاً:

لعبنا في الحياة بكل جهلٍ * طرقنا للعقوبة كلَّ بابِ**

نقضي العيش مهمومين حتى * ضَيِّقَ الهمُّ متَّسع الرحابِ**

فنطرد ما نعاني بالأغاني * ونعلم أنها سببُ العذابِ**

وكم من ناصحٍ أسدى إلينا * نصيحةَ خائفٍ يوم الحسابِ!**

يناصحُنا، ودمعُ العين يجري * ألا من توبةٍ قبل التبابِ؟!**

هداية امرأتين

من وسائل الدعوة التي استعنت بها في نصح أقاربي: إهداء الأشرطة، والكتب النافعة، كنت أشتري منها مجموعة، وأقوم بتوزيعها على النساء، لاسيما في التجمعات الكبيرة، وكان لنا لقاء دوريٌّ شهري نجتمع فيه؛ كنت أُجري أحياناً مسابقات، وأضع مع الهدايا المقدمة أشرطة وكتباً، ولكن لم أجد اهتماماً بها، فكثيراً ما كنت أسألهنَّ فيما بعد عمَّا سمعن وقرأن منها، فيقلن بأنَّهن لم يجدن فرصة لتحقيق هذا، أو أحياناً تصرِّح بعضهنَّ بأنها لا تحب أن تسمع، أو تقرأ شيئاً كهذا، وكثيراً ما كنت أجد الكتب والأشرطة ملقاة في أماكن جلوسهن؛ حتى إنهنَّ يخرجن لبيوتهن، ويتركنها بلا مبالاة.

وصارت أحياناً تنتابني نوبات يأس: لِمَ أرى منهن هذا الصدود؟! وأفكر أن أدع التوزيع عليهنَّ.

ولكني ظللتُ أستعين بالله، وأتأمل في سير الأنبياء والصالحين، وكم بذلوا من الوقت، والجهد، وتحملوا من المشاق، والصعاب في سبيل الدعوة إلى الله؟! وأتذكر ما أعدَّ الله من أجر عظيم للدعاة، حتى وإن لم يستجب المدعوون، وحينذاك أجدد نشاطي، وأعاود التوزيع كرَّة أخرى، وأسلِّي نفسي بما أسمع من قصص هداية الآخرين لتأثرهم بشريط أو كتاب، وبفضلٍ من الله كان لشريط أهديته دور في هداية امرأتين من أقاربي، مع أنهما كانتا أكثر اثنتين تعارضان سماع الأشرطة، ولكن شاء الله أن تسمعا فتتأثرا.

كنا في تلك الليلة في اجتماع عائلي، ووزعتُ الأشرطة على النساء، وفي الغد اجتمع بعض النسوة الكبيرات في السن ببيت إحداهن، وأتت هاتان الاثنتان، وبعد أن تناولن طعام الغداء، فتحت امرأة كبيرة شريطاً كنت أعطيتها إياه بالأمس، فلما سمعته هاتان المرأتان بكتا، وتأثرتا، وعادتا إلى الله، ومن ذلك اليوم حافظتا على حجابهما الشرعي بعد أن كانتا مفرِّطتين فيه، وها هما الآن في مصاف السائرات في طريق الهداية.

من الظلمات إلى النور

(إيفور إليويس) شاب يافع ممتلئ حيوية ونشاطاً، تلقى الدراسات الدينية النصرانية على أيدي القساوسة. فنشَّأه أبوه على حب الكنيسة والعمل لها. وانخرط في الجامعة ليدرس التجارة والاقتصاد، وهو يحمل الفكر النصراني، حيث أخذ على عاتقه القيام بمهمة التنصير وهو على مدرجات الجامعة، وتخصص في تنصير المسلمين، أو إخراجهم من دينهم إلى الفراغ الروحي.

ولكن مع هذه الحيوية والنشاط في تنصير الناس، لم يكن يشعر بالراحة النفسية، مع أنه بلغ منصباً عالياً؛ حيث أصبح كبير أساقفة الكنيسة التي يعمل فيها، ومع ذلك لم تستقم نفسه على هذا الدين، وأحس بأنه لا يُشبع الروح.

فجرَّب الهندوسية؛ ولم تزده إلا نفوراً، فالأسرار، والطقوس الهُلامية التي تؤديها الطائفة الهندوسية لا تستقيم مع صفاء النفس وتعلقها بالله، بل إنَّ الأفراد الذين يشركون مع الله آلهة أخرى لا تستقيم حالهم، بل يزيد هذا الشرك من حَيرة الإنسان، ويملأ قلبه حَيرة ووحشة، فأيقن (إيفور) أن الهندوسية لا تَصْلحُ أيديولوجيةً روحية؛ فهي لا تخدم مصالح الإنسان وحاجاته؛ لأنها تمجد إنساناً، وتصنع منه إلهاً مع الله!

فجرَّب الشيوعية، وقراءة كتبها، ومبادئها، ولكن لم تشف هذه المبادئ حاجته الروحية، فشعر بشيء من الألم يعتصر قلبه.

يقول (إيفور): إن العقيدة النصرانية لا تصلح أن تكون ديناً عالمياً، فهي لا تلبي حاجة النفس، ولا توازن بين الفرد والمجتمع، بل لا توازن بين الدنيا والآخرة؛ فغالبية النصارى في العالم يشعرون بخواء روحي، ونقص في الجانب العبادي، لا لشيء، ولكن لأنهم لا يوحدون الله بالعبادة؛ ففي دينهم أسرار لا يُسمح للفرد العادي بأن يعرفها، وهناك طبقية؛ فالسدنة غير القساوسة، والقساوسة غير عامة الناس، وأنت في خِضَمِّ هذا المشروع الطبقي تنسى ربك، وتتعلق بالقسيس، لأنه هو الذي يصفح عنك، وهو الذي يغفر لك، وهو الذي يمتلك ناصيتك من دون الله.

إن الإنسان العاقل المنصف يشعر بالخيبة، وهو يقرأ عن التناقضات في نُسخ الإنجيل، ويشعر بالرغبة في التقيؤ، وهو يقرأ القصص التي لا تصح من عامة الناس، فكيف من خير البشر: «الأنبياء، وأبنائهم، وبناتهم، وزوجاتهم».

ومما زاد من عجبه أن المسلمين في سيريلانكا – حيث وُلِد، وترعرع – يختلفون عن المسلمين في بلاد الحرمين من حيث: التطبيق، والعمل للإسلام، وما رآه من تهاون في العبادات، وعدم التفريق بين ما هو حلال، وما هو حرام في بلده، جعله يوقن بأنَّ الإسلام هنا له معنى خاص، وهو الإسلام الذي يخوف سدنة الكنيسة، ويقض مضاجعهم، ويذكر أيفور قائلاً: أن من الأمور التي زادت في حيرته وعدم فهمه للإسلام هو دور الهلال في حياة المسلم يقول:

كنت أسمع أن الهلال الذي عُدَّ رمزاً للمسلمين مهمٌ في حياتهم، وكثير ممن يشرح دور الهلال في حياة المسلم يشبهه بالصليب عند النصارى؛ فالمسلم يصوم إذا رأى الهلال، ويفطر إذا رآه مرة أخرى، ويصوم إذا اكتمل البدر، ويحدد مواقيت الحج بالهلال، ويوضع على المنابر في المساجد. مما جعلني أعتقد – جهلاً – أن الهلال هو المعبود، وليس الله تعالى؟!

كنت أثرت موضوعاً في الكنيسة سبب لي جدلاً كبيراً، وصممت على تنفيذ ذلك الأمر مهما كانت العواقب، ومهما بلغ الثمن، طرحت فكرة (الدعوة إلى النصرانية في بلاد المسلمين وبالتحديد في بلاد الحرمين).

إلا أن القساوسة ومن حولي عارضوا الأمر بشدة، وحاولوا تخويفي أمام الناس، أردت أن أكتشف هذا العالم المجهول، وأرى علاقة الهلال بالمسلمين، وأرى مدى تقبلهم لعقيدة التثليث، فكرتُ في الأمر ملياً، ورأيت أن أقتحم هذه التجربة.

ذهبت إلى مكاتب التوظيف ووجدت وظيفةَ مأمور مستودع في شركة عربية في بلاد الحرمين، لم أتردد في القبول، وخلال فترة وجيزة أنهيت وثائق السفر، وركبت الطيارة أوائل عام ١٩٨٣م وكلي أمل في أن أمارس نشاط التنصير لأرْضي الكنيسة، وأثبت لهم صحة فرضيتي، وَلأشْعر بالرضا والزهو والفخر بقدرتي على الإقناع، كنت أتصور أن المسلمين في هذا البلد مثل المسلمين في بلادي، لكن الفرق شاسع، والمهمة لم تكن سهلة.

لقد تغيرت نظرتي لديني ودين قومي عندما رأيت مظاهر الالتزام بهذا الدين، فلم أعد أجد في نفسي الرغبة الجامحة للتنصير، بل أصبحت أنظر للمسلمين نظرة إعجاب وتقدير، وينتابني شيء من الاحتقار لذاتي ومعتقدي، لقد تحركت في داخلي موجة كُرْه لديني، وبدأ الشك يساورني مرة أخرى، وأحسست أنني توجهت إلى الطريق المستقيم.

ومما لفت نظري تعظيم المسلمين للقرآن الكريم؛ فلا يلمسونه إلا إذا كانوا متطهرين، ولا يسمحون لغير المسلم بلمسه، فضلاً عن قراءته. ويطبقون بعض الأحكام عند قراءته، ويتغير

صوتهم (الترتيل) عندما يقرؤون، ويشعرون أنهم يعظمون الله – تعالى – ويتعبدون بتلاوته، مع إننا عندما نتعامل مع الإنجيل لا نقيم لهذه الأحكام وزناً، بل لا يهمنا مَنْ يقرأ الإنجيل، وعلى أية حالٍ كان، بل إننا لا نقيم له قداسةً ولا تعظيماً، فنأخذه إلى بيت الخلاء، ونهجره، ولا نؤمن بكثير مما فيه، فأحدث هذا الأمر شيئاً في نفسي، وهزني أمرُ تعظيم القرآن، وأوجد في نفسي رغبة شديدة لقراءته، والبحث فيه لعلي أجد بعضاً من المتناقضات كما هو الحال في كتابنا المقدس، ولكن لم أعثر على نسخة مترجمة، بل لم أجد من يعيرني نسخته؛ فأنا في نظرهم كافر؛ لا يحق لي أن ألمس القرآن، ومضت الأيام وهذه الرغبة تراودني، وفضولي يقودني للسؤال عن النسخة المترجمة لمعاني القرآن الكريم كلما سنحت الفرصة، إلا أن هذا الجهد ذهب سدى، والأمر لم يتيسر لي بسهولة.

وذات ليلة دعاني مهندسٌ باكستاني لتناول طعام العشاء في بيته بمدينة المجمعة حيث يعمل فيها، وسيسافر من الغد إلى أهله سفراً نهائياً، وأثناء تناول العشاء لمحت نسخة مترجمة لمعاني القرآن إلى الإنجليزية؛ فطلبت من المهندس الباكستاني أن يعيرني إياها ففعل، فطرت فرحاً، ولم تسعني الدنيا من الغبطة والسرور، بل لم تعد لي شهية في الأكل أو الشرب، فرحت أتصفح القرآن، لأعرف ما فيه.

وبدأت في البحث عن المتناقضات التي تتسلل إلى رأسي، وبدأ الشك يساورني!

خرجت من منزل ذلك المهندس، وذهبت إلى بيتي، وبدأت أقرأ في النسخة المترجمة، **وأول ما قرأت:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ شعرت بقشعريرة في جسمي، لقد قرأت كل الكتب المقدسة من الإنجيل إلى التوراة إلى كتب الملل الأخرى، ولكنني لم أجد كتاباً يبدأ بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لقد استقر في قلبي معنى التسمية، فلأول مرة في حياتي أقرأ التسمية ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ **- تعالى -** وبعدها صفة يغفل عنها الكثيرون ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ لقد تركت هذه الجملة في نفسي أثراً عجيباً، ودفعتني لأقرأ بتمعن وقلب مفتوح.

ثم دلفت إلى سورة الفاتحة، إنها ترسم ما قاله عيسى – عليه السلام – لأصحابه، عندما أرادوا أن يعرفوا كيف يحبون الإله، فقال لهم: أن يحمدوه، ويمجدوه، ويدعوه، وهذا ما وجدته في سورة الفاتحة التي فتحت قلبي على مصراعيه، وانهال النور إلى قلبي..

لَكَم أشعر بطعم السعادة والإيمان، وأنا أقرأ كلام الله تعالى.

بعد ذلك قرأت سورة البقرة، هذه السورة العظيمة **- والقرآن كله عظيم -:**

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة: ١-٢)

يا لعجب هذه الآية! معناها أجده في الكتب المقدسة التي قرأتها، ولكن في ختام الكتاب بعد أن تنتهي المقاطع والتعاليم الدينية والمواعظ تأتي هذه الآية، أو يأتي معناها، لكن في هذا الكتاب أتت هذه الآية من أوله شامخة تعلن أن هذا الكتاب كامل وشامل، لا ينقصه شيء.

يا للعجب!!

من يملك مثل هذه القدرة؟

إنه الله الواحد الأحد، أكملت القراءة، وما أن وصلت الآية الرابعة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ (البقرة: ٤)، حتى زلزلت هذه الآية ما بقي في قلبي من ريب، وأزالت ما فيه من تساؤلات لا معنى لها. لقد جعلت قلبي ينفتح على مصراعيه، فأعلنت بين جوانب نفسي أن هذا الدين حق، وأن الذي أنزل القرآن هو المعبود المستحق للعبادة وحده... لم أعد قادراً على التحمل، فأنا أريد أن أمارس العبادة الصحيحة... لقد تذكرت قول المسيح - عليه السلام -:

إنه سيأتي بعدي من يقودكم إلى الحق والهدى، فهذا هو الحق والهدى الذي بشر به عيسى - عليه السلام -.

إنني الآن مسلم، ولكن لا أحد يعرف أنني مسلم، وعليَّ أن أصلي، وأمارس الإسلام، وقبل الصلاة يجب أن أتطهر، **ولكن كيف يتطهر المسلمون؟** لا أعلم.

ودخل وقت الصلاة، وسمعت المؤذن ينادي للصلاة؛ قمت، وخلعت ملابسي كلها، وغسلت جسمي، ثم دلفت نحو المسجد لأول مرة. ووقفت في الصف أقلد مَنْ على يميني وشمالي إلى أن فرغت من الصلاة، وعدت إلى بيتي، وأنا أشعر بنور في قلبي، ولأول مرة أشعر بالراحة، لأول مرة أشعر بقيمة العبادة، لأول مرة أشعر بطعم الإيمان، وأخذت أكتب ما أسمع من الإمام، وأحاول أن أقول مثل ما يقول، وبقيت على هذه الحالة لمدة يومين، وأنا أغتسل غسلاً كاملاً خمس مرات في اليوم الواحد، وفي اليوم الثالث إذا بالإمام يمسكني من يدي، وبدأ يعاتبني بصوت مرتفع، فَهِمْتُ منه أنه عاتب عليَّ أنني لا أصلي في المسجد، وأنا جار المسجد؛ فقد كان مظهري وأنا ملتح يوحي بأني مسلم، فأخبرته أنني مسلم جديد، وأنني اعتنقت الإسلام حديثاً ففرح بي، وفرح بي الآخرون.

وبقيت على هذا أياماً عدة، وأنا أغتسل قبل كل صلاة، إلى أن قدم إلى مكان عملي اثنان من خارج المدينة؛ فجاء وقت الصلاة فطلبا مني أن آذن لهما بالدخول إلى المرحاض للوضوء استعداداً للصلاة؛ فقلت لهما: (لا) وأرشدتهما إلى مكان مفتوح يصلح للوضوء فغضبا عليَّ غضباً شديداً؛ وإنما أردت أن تتاح لي الفرصة لتعلم الوضوء بالمشاهدة، وبعد أن أتما وضوءهما، قمت وتوضأت مثلهما، وهما في دهشة وحيرة من أمر هذا النصراني الذي يتوضأ مثلهما تماماً!

بدأت تعلُّم الواجبات، وأركان الدين، والعبادات. وكلما قرأت زادت محبتي لهذا الدين، وتعلمت الكثير، ولعل أهم ما لفت نظري وجذبني لهذا الدين أنه دين شامل، وكامل يعالج جوانب كثيرة من حياة الفرد والمجتمع، ويوازن بين الدنيا والآخرة، ويقدم للبشرية مشاريع إصلاح: اقتصادية، واجتماعية، ونفسية.

وفي يوم من الأيام أخذني الإمام إلى مدير المعهد العلمي في مدينة المجمعة الذي أهداني عدداً كبيراً من الكتب المترجمة إلى اللغة الإنجليزية، وأخبرني أن لديه مستودعاً للكتب باللغات الأجنبية، كالألمانية والفرنسية، وغيرها فأخذت هذه الكتب، وبدأت مشروع الدعوة إلى الإسلام من خلالها؛ وعلى إثر ذلك شرعت في إعداد فريق للعمل في الدعوة إلى الله، ونجحنا – ولله الحمد والمنة والفضل – في هداية كثير من الناس في منطقتنا، والمناطق المجاورة، وصار شغلنا الشاغل هو الدعوة إلى الله وسط غير المسلمين.

ومن خلال تجربتي في الدعوة للنصرانية عرفت أن المسلم المتمكن من عقيدته، العارف بالواجبات يتعذر علينا إقناعه، أو خلخلة عقيدته، ذلك أن الحجج التي تحاجُّه بها تعد من البديهيات عنده، بل أحياناً يحرجنا بإثارة نقاط، مثل: التثليث، وألوهية عيسى، والغفران، وأصل الخطيئة، وغيرها كثير، ولا يدخل في معتقد النصارى إلا القليل، أولئك الذين ليس لهم حظ من العلم بالدين.

إن الدعاة إلى النصرانية في الآونة الأخيرة يسلكون مسلكاً خطيراً يتمثل في قبولهم أن يعيش المسلم بينهم، ويقدمون له المغريات، مثل: المرتب العالي، والمسكن المؤثث، بل ويسمحون للمسلمين ببناء المساجد، وإقامة الشعائر الدينية، ولا يمنعونهم من مزاولة ما يريدون تحت شعار الحرية الدينية، وهم في الحقيقة يخططون لتنصير الجيل القادم.

فعندما يدخل المسلم في عالمهم محافظاً على دينه، حريصاً على أداء ما افترضه الله

عليه؛ فإنهم يعمدون إلى تثقيف أبنائه وبناته بالثقافة الغربية، والتي لا تخلو من بعض المعتقدات النصرانية؛ فينشأ بين أحضانهم يراهم في الليل والنهار، ويسمع منهم، ويقتدي بهم، حتى إذا أدرك، وبلغ سن الرشد سهل عليهم قيادته إلى معتقدهم، وهذا ما تحاول الكنيسة العالمية بثه بين المنصرين وأتباعهم، وهذا ما ينطوي عليه مبدأ النظام العالمي الجديد.

فهل نعي خطر ما يخططونه لهدم الإسلام؟

والله نسأل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

ثمرة التقوى

أُجْبِرتْ من قبل الأهل على أن تذهب لحضور زواج آل فلان من أقاربها... رفضت؛ ولم ترفض إلا لأنها تعلم ما الذي ستجده في ذلك الزواج من منكرات.. ولكن أهلها أصروا عليها، حاولت إقناع والدتها، ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل الذريع، فذهبت وهي مكرهة تدعو الله أن يعينها على إنكار المنكر والأمر بالمعروف، ومع دخولها صالة الأفراح إذ بضجيج الموسيقى الصاخبة ينتشر في كل مكان، رأت أشكالاً وأنواعاً من اللباس الذي أظهر المفاتن والعورات.. بكى فؤادها على تلك المناظر المخزية لبنات المسلمين.. ردَّدت: لقد استطاع الأعداء أن يلعبوا لُعبتهم.. حاولت الإنكار. بذلت جهداً، ولكن لا حياة لمن تنادي أرادت الخروج من هذا الجو المشبع بالمنكرات وما يغضب الله... ولكن أين تذهب؟!! أخذت تبحث في الصالة عن مكان تمكث فيه حتى تعود إلى المنزل، ويكون بعيداً عن هذا الصخب والضجيج الذي آذاها... لم تجد سوى غرفة بعيدة في أقصى الصالة، قد خُصِّصت للخادمات، قالت: جلوسي هنا أسلم لنفسي ولديني.. علت الدهشة وجوه الخادمات.. تجرأت إحداهن فسألتها: لماذا لا تشاركين الناس فرحتهم..؟! وجدت في محادثتها لهن بغيتها في الدعوة إلى الله، وبالفعل أخذت توجه وتنصح، وتبين سماحة الإسلام.. وكان هناك من بين الخادمات نصرانيات؛ فكان ثمرة تلك الدعوة، في تلك الليلة إسلام إحداهنَّ...

ولله الأمر من قبل ومن بعد...

قصة شيعي اهتدى

نشأتُ في أسرة رافضية في مجتمع رافضي، في إحدى قرى البحرين، فتشربت التشيع، وعشت الوهم عاشقاً للحسين – رضي الله عنه – مبغضاً للصحابة الكرام – رضي الله عنهم – لأنهم سلبوا آل محمد ﷺ حقهم، وقرأت الكثير من الافتراءات التي ملأت عقلي؛ وقلبي فأضحى أسوداً كالفحم – عافاكم الله – وشددت الرحال منذ نعومة أظفاري إلى القبور في: العراق، وإيران، والبحرين طالباً المدد، والعون من غير الله.

وغير هذا من الأمور التي ليست إلا شركاً بالمولى الرحمن.

كيف اهتديت؟

كنت منذ صغري أهوى القراءة، وكانت قراءتي دوماً لكتب الشيعة المخدِّرة المنافقة، التي تسبل على التشيع أسمى معاني الإنسانية، **ككتب:** جواد مغنية، ومحاضرات أحمد الوائلي، وعبدالحميد المهاجر، وغيرهم.

ووقع في يدي كتابٌ للشيخ إحسان إلهي ظهير – رحمه الله – وجعل جنات عدنٍ مثواه! – لم أُصدِّق ما قرأت، وأبغضته بغضاً شديداً، لكن هذه القراءة نكتت في قلبي نكتة بيضاء؛ فسعيت أن أُقرِّبَ في قلبي بين الشيعة والسنة؛ فصعب عليَّ الأمر، لأني كنت أحاول أن أجمع بين نقيضين بين الظلمات والنور؛ وأصبح في قلبي شعور خافت بأن الحق هو مع أهل السنة؛ ولكن كيف أترك ديني ودين آبائي؟! لا يمكن!! لا يمكن!!

ما الحل إذاً؟

الغفلة واللهو! نعم هو ما اتجهت إليه لهو وغفلة هروباً من الحقيقة الكامنة في القلب.

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره.

فبعد ليلة صاخبة انتهت عند مطلع الفجر، ذهبت للنوم كالعادة؛ فرأيت في المنام أن ملك الموت ينزع روحي، فصرخت بملء فمي ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠) مكرراً هذه الآية، وأفقت مرعوباً خائفاً؛ فإذا بأذان الظهر من مسجد أهل السنة القريب من بيتي، فقمت من فوري، واغتسلت، وتوجهت إلى المسجد، لا أدري ماذا حدث؟! ساقتني رجلاي إلى مسجد أهل السنة، وصليت الجماعة.

ومما ساعدني على ذلك انتقال أهلي للسكن بالمنامة في مناطق أهل السنة، وهذا ما سهل عليّ الأمر كثيراً.

المواجهة:

لم يعجب أهلي الأمر؛ فبدأت رحلة العذاب... وهي الهجر، والعداء، هجمت عليَّ أمي باكية، ومزَّقَتْ ثيابي، وألقت بنفسها أمام رجلي تنوح وتبكي، أبي وأعمامي، وإخواني، وأصدقائي الكل هجرني.

كنت أحس في قلبي بحلاوة الإيمان، ولكن في نفس الوقت أحس بالحزن والكآبة للوعة الهجران.

الرؤيا الثانية:

وفي مساء يوم حزين رفعت يدي إلى السماء، ودعوت المولى – عز وجل – سائلاً الثبات، شاكياً إليه ضعفي، ثم توجهت للنوم.

رأيت نفسي في المنام أمشي في سكة الحديد، والمكان مظلم، ومغلق من جميع النواحي، وإذ بي أسمع صوت القطار خلفي؛ فقمتُ أجري لأهرب من القطار، وأنظر يميناً وشمالاً، ولا أجد مهرباً، وعندما قارب القطار أن يدهسني رأيت فرجة صغيرة؛ فألقيت نفسي فيها لأنجو من القطار، ورأيت القطار فإذا هو أسود حالك، فنجوت منه.

فإذا بي أسمع هاتفاً يناديني ولكني لا أراه، يسألني: من تريد؟ فقلت دونما شعور: أريد عمر، لماذا قلت عمر؟! لا أدري!

فقال لي الهاتف اصعد الدرج، وكان درجاً طويلاً، فصعدت الدرج راكضاً شوقاً إلى رؤياه، فلما صعدت رأيته جالساً على الأرض، فتصافحنا بكل شوق، فسألته دونما سابق ميعاد: أين رسول الله – عليه الصلاة والسلام –؟ فأشار إلى الغرفة خلفه، فذهبت راكضاً متلهفاً فرأيت رسول الله ﷺ.

نعم رأيته؛ فأمسك بيدي مبتسماً، ولم يقل شيئاً، كان ماسكاً بيدي، وهو مبتسم، والتمَّ من حولنا جمعٌ من الصحابة الكرام، فهكذا حسبتهم مبتسمين، وأنا لا يسعني الفرح، ثم أفقت من النوم.

فوجدت حلاوة الإيمان في قلبي، وذهبت المرارة والحزن، ووجدت القوة والعزيمة الشديدة، أسأل الله سبحانه الهداية والثبات على الحق.

والحمد لله أن هداني لاتّباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وهدى الله على يدي ثلاثة من إخوتي فضلاً منه، وجوداً، وكرماً، وأرجو كل من يقرأ قصتي هذه أن يدعو لوالدي بالهداية.

وختاماً أقول لجميع الشيعة: لا تعيشوا في الوهم، اقرؤوا كتب إحسان الهي ظهير، و محمد مال الله ، والكثير من المراجع التي لا تخلو منها مكتبة إسلامية.

السؤال: كيف اهتدى هذا الشاب؟! إنه بسبب كتاب، فهلا وزعت أخي القارئ الكريم – أختي القارئة الحكيمة من الكتب التي تبيّن ضلال المذهب الشيعيّ، على من عرفت ومن لم تعرف من أبناء هذه الطائفة؛ لعل الله أن يبرئ الذمة، وينصر الأمة.

خمس هللات!!

أقمت في هذه البلاد عدة سنوات، لم يدعُني أحد إلى الإسلام! رغم ما كنت أحس به في داخل نفسي من رغبةٍ كبيرة في التعرف على هذا الدين والدخول فيه.

وفي أحد الأيام وجدت مطوية تتحدث عن الإسلام، فأخذتها بشغف، وقرأتها كاملة..

فكانت هذه الصفحات القليلة هي المفتاح الذي فتح صدري إلى هذا الدين والإقبال عليه..

فما كان مني إلا أن اتصلت تلك الليلة بمكتب الجاليات الذي طَبَع المطوية، وأخبرتهم عن رغبتي في التعرف على الإسلام، بعدها دخلتُ فيه – ولله الحمد – راضياً مقتنعاً، ثم بقيت سنة تقريباً أتعلم أحكام هذا الدين، عندها لم أتحمل الإقامة هنا في المملكة، وأهلي في بلدي على ملة الكفر والضلال، فاستأذنت للعودة، ورجعت لأكون داعيةً بين أهلي وأقاربي وفي مجتمعي..).

يقول الرواي: وما هي إلا سنتان ويعود ذلك الرجل ليس لأجل البحث عن العمل، وإنما للبحث عمن يدعمه لمواصلة جهوده الدعوية في بلده، فقد عزم على بناء مركز إسلامي كبير، لرعاية عدد (٤٠٠) شخص أسلموا على يديه، كثمرة أولية لجهد لم يتجاوز السنتين!!

أنا .. والسيجارة!!

لم أكن أصلي، وكنت غافلاً عن الله منكباً على المعاصي، وفي أحد الأيام أعطاني أحد الشباب الملتزمين شريطاً للشيخ (عبدالله الحماد) فوضعته داخل سيارتي، ثم في إحدى المرات حينما كنت راجعاً آخر الليل من مكان لهوي البعيد عن منـزلي شغَّلت الشريط؛ فسمعت الآيات والأحاديث المؤثرة، وفي نفس الوقت قمت بإشعال سيجارة فجاءتني خاطرة: كيف تشرب الدخان، وأنت تسمع القرآن؟ لو أطفأتها لكان أحسن..

ثم وسوس الشيطان، فقال: مالك ولهذا الشريط؟ هذا ليس لك، وأنت لا تطفئ السيجارة عند والدتك، وعند أقرب الناس إليك.

يقول: فأشعلت السيجارة الثانية، وتابعت سماعي للشريط.

فعاد لي نداء الخير، وقال: أما تصبر حتى ينتهي الشريط؟!

فأطفأتها ثم جاء الشيطان كرة أخرى فوسوس لي بإشعال السيجارة، ثم أطفأتها أربع أو خمس مرات.

مرة أستمع للشريط، ومرة أشعل السيجارة؛ حتى قلت لنفسي: لابد أن أستمع للخير هذه المرة!!

فأطفأت السيجارة وبينما كان الشيخ يعرض آيات الجنة والنار كاد قلبي يتفطر.. فبكيت حتى إن بكائي وأنا أقود السيارة كان له صوت عجيب، والله بكيت بكاءً ما بكيته على أقرب الناس إليَّ حين مات.

ولما انتهى الشريط خاطبت نفسي قائلاً: هذا طريق الجنة، وهذا طريق النار، وأنت تسير على أيِّ الطريقين؟!

لا صلاة، ولا قيام، ومعاصٍ، وعقوق للوالدين؛ ثم عاهدت نفسي، وقررت أن أتوب إلى الله.

بسبب نسخة!

كان يأتي إلى المسجد الوحيد في المدينة من مكان بعيد جدًّا لأداء صلاة الفجر، وعلى الرغم من الخطورة الأمنية التي تمنع كثيراً من الناس من الحركة في هذه الساعة المبكرة من اليوم، إلا أنه كان حريصاً أشد الحرص على ذلك، وسمعته يقول: منذ أن قرأت **قول النبي** ﷺ: **«بشر المشَّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»** (١)، وأنا حريص على أن أكون من أهل الحديث – إن شاء الله –.

سألته: ما الذي دعاك إلى الإسلام..؟!

فقال: ولدت في جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي، لأبٍ مسلم وأم نصرانية، كنت أرى أبي يؤذن في البيت، ويصلي، ولكنِّي ما كنت أعرف ماذا يفعل، فقد توفى وعمري سبع سنين، كل الذي أذكره أنه أسرَّ إليَّ في مرض وفاته، قائلاً: أنت مسلم، يا ولدي.. إياك أن تذهب إلى الكنيسة مع أمك.. أنت مسلم، أليس كذلك؟! ثم فارق الحياة.

نسيت وصية أبي.. أو قل: لم أكن أفهمها. وذهبت إلى الكنيسة، فقد كانت أمي كاثوليكية متدينة، وما كنت أقتنع بكثير مما أسمعه أو أراه.. فلما كبرت كنت أتفلت من قيود الكنيسة، واشتغلت بالتجارة، فانفتحت عليَّ الدنيا؛ فازدادت غفلتي، وبعدي عن التفكير بجميع الأديان.

حتى جاء اليوم الذي سافرت فيه إلى جزيرة (جامايكا) لغرض التجارة، كنت أسير في أحد شوارع العاصمة، وفجأة.. سمعت صوتاً رخيماً متخشعاً ينادي بالأذان، ما كنت أعرف ماذا يقول، ولكني تذكرت أذان والدي، تذكرته وهو يشدني إلى صدره، والدموع تملأ عينيه، ويقول لي: (أنت مسلم.. أليس كذلك؟!) وكأنه يستعطفني أو يستجديني، أحسست برِعدة شديدة تسري في جسدي، لا أدري لماذا اقترن عندي الإسلام بالأذان؟! فما كنت أعرف عنهما شيئاً، وأخذت أرتجف، حتى انفجرت بالبكاء.. مشاعر كثيرة اختلطت في ذهني وكأني وجدت شيئاً عزيزاً على نفسي طالما افتقدته. بكيت، وما كنت أبالي بنظرات المارة...

ذهبت أبحث عن مصدر الصوت، حتى دلوني على المسجد، فوجدت المؤذن رجلاً كبيراً أميًّا لا يعرف شيئاً كثيراً عن الإسلام... ألححت عليه بالسؤال بعد السؤال، لكنه لم يشف غليلي، وإنما دلني على مكتبة المسجد، فما وجدت شيئاً أقرؤه إلا ترجمةً لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، فأخذت أقرأ بنهم شديد، **حتى وقفت على قول الله تعالى:**

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٨١)، والطبراني في الأوسط (٥٩٥٦)

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ (المائدة: ٧٣) فأحسستُ بهزةٍ عنيفةٍ أيقظتني من سبات عميق، وما بتُّ تلك الليلة إلا وأنا أشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ.

التعليق: تأملت هذه القصة، ثم رجعت إلى نفسي، وقلت: كم هم أولئك الحيارى الذين يتخبطون في ظلمات الجاهلية شرقاً وغرباً، بل وفي ديار الإسلام!! ومنهم من كانت أمهاتهم غير مسلمات، ومع ذلك لم نُحسِن عرض الإسلام لهم بصفائه، ونقائه، ومحاسنه العظيمة. على الرغم من التقنيات الهائلة التي تميز بها هذا العصر، حتى إن (القرآن الكريم) لم تتيسر لنا ترجمة معانيه ترجمةً سليمةً خاليةً من الأخطاء المنهجية واللغوية إلى كل اللغات الحية فضلاً عن اللغات الأخرى.

إن البشرية... كل البشرية متعطشة إلى هذا القرآن العظيم لينقذها من حيرتها وتخبطها، وإنه أمانة عظيمة، **فلنجتهد في نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه بكافة الوسائل الإلكترونية والورقية لعل الله أن يكرمنا بأن نكون سبباً في الدلالة على هذا الدين العظيم.**

إنسانة جديرة بالحياة

هربتُ وأنا أحمل خيبة الأمل بين جوانحي.. أمسك بيدي طِفليَّ البريئين.. وعار الطلاق يجثم على صدري الذي ازداد ضيقاً بعد ضيق.. في هذا الزمان الصعب الذي لا يجد فيه المرء إلا السواد أو البياض.. فاللون الرمادي معدومٌ.. والتوسط لا يوجد له أثر..

ذهبت إلى عملي، وأنا التفت يميناً ويسرة!.. فقد يكون الهمس حولي.. وقد تكون النظرات مليئة بالتساؤلات.. هكذا كنت أظن مع أنني كتمت الخبر في البداية ولمدة طويلة.. حمل ثقيل على كاهلي بالرغم من أنه اختياري.. ولكنه اختيار المضطر.. كَمْ كرهت أبغض الحلال!! وكم كرهت لقب مطلقة!! وكم حملت نفسي الكسيرة هم الناس وما يقولون!!

لم أُكْمِل السادسة والعشرين ومطلقة!! الحيرة تلفني.. كلام الناس يحاصرني.. نظَراتهم سياط تلسع مشاعري وأحاسيسي.. في مقتبل العمر.. أتمتع بالصحة، أملك المال.. وليس أمامي إلا الفراغ، يا لها من حياة غريبة!! الحياة التي أملك فيها كلَّ شيء.. وأفتقر فيها إلى كل شيء.. صحة ومال.. وفقدان للراحة والأمان..

في بادئ الأمر كانت العزلة، ومعانقة الوحدة، والخجل من مواجهة المجتمع.

كان النسيان مؤقتاً عند الانشغال بالقنوات.. ومطالعة شتى وسائل التواصل.

وعندما تهيج المواجع والآلام، فهناك المزيد من الملهيات!!

ولكن هناك ثغرة على الرغم من كل شيء.. فوقع الأفلام على نفسي ليس كالسابق!! الملهيات لم تعد لها تلك المتعة.. والأغاني ليس لها ذلك الأثر.

الهوة النفسية تتسع.. الحيرة تزداد.. الشعور بالحسرة والألم دائم.

المقارنة بين حياتي وحياة الأُخريات مستمرة.. أحياناً ألوم نفسي.. وأحياناً أُخرى ألقي باللوم على هذا وذاك.. ما أضيق العالم على رحابته!!

وما أصغر الأرض على اتساعها!!

مرت أيام طويلة، حالتي النفسية تزداد: سوءاً.. فراغاً.. حيرةً.. حزناً.. انكساراً.. خجلاً.. خوفاً.. مشاعرٌ مختلطة.. وأحاسيس مختلفة...

في ذلك اليوم العجيب حدث شيء جديد.. صعدت إلى حجرتي باكراً.. أطفأت الأنوار.. تركت مصباحاً بضوء خافت.. فأنا أخاف الظلام.. نام الأطفال.. بقيت وحيدة أصارع همومي.. أقلب أحزاني.. أما من وسيلة لجلاء الهم؟ ألا توجد طريقة للخروج من هذه الحالة الكئيبة؟ لم أستطع النوم.. أريد أن أبوح بما يعتمل في صدري.. أنا حزينة.. مهمومة.. مكتئبة.. أين الراحة؟! أين السعادة؟! (أريد الأمان)... **كيف السبيل إلى ذلك؟!**

جلت ببصري في أنحاء غرفتي.. أبحث عن شيء لتزجية الوقت.. لعل النوم يغافلني، ويتسرب إلى أجفاني.. وجدت شيئاً غريباً، لم يكن لي به سابق معرفة.. ملقى بإهمال شديد.. إنه كتاب صغير.. دخيل على حياتي.. **لم أعرف لمن هو؟! كيف جاء إلى هذا المكان؟!**

لعل أحد الأطفال أدخله بطريق الخطأ.. كتاب عن أهوال يوم القيامة!! قلَّبت الكتاب مرات ومرات.. العنوان مخيف.. **فماذا عن المحتوى؟ هل أقرؤه أم لا؟** أنا شغوفة بالقراءة.. ولكن هذا النوع من الكتب لم أجرِّبه من قبل.. قراءتي كانت للأدب العالمي.. و كتب الثقافة والخيال العلمي.. سألت نفسي في هذه اللحظة.. ما المانع من قراءة الكتاب.. ولو من باب التسلية وحب الاستطلاع؟ بدأت بقراءة الكتاب.. الأسلوب مشوق.. المواضيع مثيرة.. قلبت الصفحة تلو الأخرى.. يا لها من معلومات رهيبة!! ويا لها من أخبار غريبة!! بدأت ألتهم الصفحات.. وبدأ القلب بالخفقان.. شعرت بانتفاضة غريبة.. انتابني خوف لم أعهده.. تردد نظري بين الكتاب وجهاز التلفاز.. نظرت إلى أكوام الأفلام.. إلى أشرطة الأغاني.. أغلفة المجلات.. هناك فرق.. وفرق شاسع جدًّا.. شعرت بأني امرأة في مهب الريح.. تيار من هنا، وتيار من هناك.. وأنا واقفة في مكاني.. نظرت إلى الملهيات التي عانقت شبابي.. وشاركتني رحلة عمري.. قارنت بينها وبين هذا الكتاب.. بين ما تحمله من فساد.. وما يحمله الكتاب من صلاح.

يا لي من امرأة جاهلة! حمقاء! أضعت أجمل سنوات العمر في هذا الهراء.. عرَّضت نفسي لخسائر فادحة.. ملايين العالم لن تعيد خسارتي.. ولن تمحو الشعور بالندم الذي بدأ يكتسح أعماقي.. أعدت النظر في الكتاب.. بل قضيت الليل بطوله وأنا أنظر فيه..

في الصباح ذهبت إلى عملي كالمعتاد.. شعرت بأن المدرسة قد تغيَّرت.. الزميلات لسن كالسابق.. تلميذاتي لم يعدن تلميذات الأمس.. سرت في الطرقات.. بنظرات زائغة.. وفكر مشغول.. وسؤال يتردد بين جنبات صدري.

كيف أبدأ الطريق؟! من يساعدني؟! من يساندني؟! فكرت في الزميلات.. الصديقات..

الأقارب.. لم أجد أحداً.. من ينتشلني مما أنا فيه؟! من ينقذني من هذا الضياع؟! أريد أن أتوب.. وأفتح صفحة جديدة.. أين نقطة البداية؟!

فجأة وبدون مقدمات.. خطرت لي فكرة سريعة: أن أطلب المساعدة ممن قال (جل جلاله وتقدست أسماؤه): ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠). أدعوه ليساعدني في محنتي.. ألجأ إليه ليفرج كربتي.. أستعين به لينير دربي.. فالله – سبحانه وتعالى – هو القادر على كل شيء.. فاللجوء إليه.. والاستعانة به.. هو الطريق الصحيح لبرّ الأمان...

عُدتُ إلى البيت.. افترشت سجادتي لفت ردائي.. توجهت إلى الله.. كانت صلاةً عجيبة.. كأنها أول صلاة أؤديها.. شعرت بالصلة بيني وبين خالقي.. أديت فرضي.. تناولت مصحفاً.. قلبت صفحاته.. ومرت الأيام.. وأنا على هذا الحال.. في بداية الطريق.. أمسكت بطرفه.. ولكني لم أخطُ خطوة واحدة..

انتقلت إلى مدرسة جديدة، تسلمت جدولاً جديداً.. بعيداً عن تخصصي.. جدول العلوم الدينية.. فرحت بخوض التجربة.. واجهت مشكلة الجهل.. تلقفتني إحدى الزميلات.. بدأت كتلميذة جديدة.. وتساعدني في كل صغيرة وكبيرة.. ولكن مادة التجويد وقفت لي بالمرصاد.. تعلُّمها ليس بهذه السهولة شعرت المرشدة الطلابية بحيرتي.. الرغبة في تعلُّم هذه المادة وتعليمها موجودة.. ولكن الجهل بها يقف حجر عثرة في سبيل ذلك.. نصحتني بتعلُّمها في مدرسة التحفيظ.. مدرسة التحفيظ!! سألتها متعجبة: ما معنى مدرسة تحفيظ؟

في عصر نفس اليوم، ذهبت للمدرسة.. وصلت للحي المذكور.. وجدت المدرسة.. النساء في دخول وخروج.. دخلت المكان.. وجوه غريبة.. ملامح جديدة.. فناء واسع مليء بالنساء والفتيات.. وفي المقدمة غرفة كُتب على بابها عبارة (إدارة المدرسة).. اقتربت.. ثلاثة مكاتب.. وثلاث موظفات.. يعملن بكل جد واجتهاد.. والابتسامة تعلو وجوههن.. لم يؤثر عليهن شدة الحر والزحام.. ينادين الصغيرة: يا بنتي.. والكبيرة: يا خالتي.. ملابس ساترة.. ألوان هادئة.. الشعر مصفف بطريقة محترمة، لا أصباغ شاذة، ولا قصات غريبة، عجباً لأفراد هذا المجتمع! وعجباً للهيئة التي يظهرن بها!

سألت عن التسجيل.. لم تكن هناك أوراق مطلوبة، بيانات عادية تؤخذ بكل بساطة، أما الرسوم فيا للعجب!! فصل دراسي كامل بثلاثين ريالاً!! عادت بي الذاكرة إلى الوراء.. تذكرت آخر دورة التحقت بها.. كانت لتعلم اللغة الإنجليزية.. وكانت الرسوم لدورة واحدة ألف وأربعمائة ريال.. والكتاب بسعر آخر.. وكذلك الشريط.. وهذه الدورة لتعلم القرآن والتجويد بهذا المبلغ

الزهيد!!

السبت القادم.. إنه يوم مميز.. حيث تبدأ الدورة.. انتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر.. جاء الموعد.. حملت حقيبة متسعة.. وضعت مصحفي.. وأوراقي.. وأقلامي.. بالضبط كتلميذة مستجدة.. ذهبت في أول رحلة حقيقية لطلب العلم.. دخلت المدرسة.. وضعت عباءتي في حقيبتي.. وسرت في الطرقات.. لا أعرف أحداً.. ولكن الكل ينظر إليَّ مبتسماً.. إنهم يرحِّبون بي.. لعلهم يشعرون بحيرتي.. تفحصت الوجوه.. دققت في الملامح.. هذا مجتمع من نوع آخر..

مجتمع غريب في هذا الزمان.. ولا أرى أثراً لأساليب الحضارة الزائفة.. وصلت إلى الفصل.. المستوى الأول.. مستوى النون الساكنة والتنوين.. أخذت المقعد الثاني.. دخلت المعلمة.. رحبت بنا.. ذكَّرتنا بفضل القرآن.. وضرورة حفظه.. لكني لم أحضر لذلك.. لقد حضرت لتعلم التجويد فقط.. وليس عندي مقدرة على الحفظ.. هكذا قلت لنفسي.. لزمت الصمت فلا ضرر من خوض التجربة..

مرت الأيام الثلاثة الأولى بسرعة.. تعرفت على جميع الدَّارسات. هذه سعودية، وهذه يمنية، والأخرى مصرية، تليها السورية، سبحان الله! خليط عجيب.. جمعهن القرآن.. وغلَّف قلوبهن الإيمان.. جاء اليوم الرابع سريعاً.. لا درس جديد.. تسميع فقط.. تطرق الإدارية الباب.. إلى المحاضرة.. محاضرة!! لملمت حاجياتي بسرعة.. وذهبت أسوةً بالجميع.. منظر لم تألفه عيناي.. امرأة على كرسي بسيط.. والنساء يتحلقن حولها.. أخذت مكاني بينهن..منصتةً تماماً.. كنت أتفحص وجوه الحاضرات.. أمعن النظر فيهن.. انتهت المحاضرة. وتوالت الأسئلة.. أريد أن أسأل، ولكن في مخيلتي ألف سؤال.. وسؤال.. لو سألتها لَبَقِيَتْ في مكانها أياماً تجيب عليها.. عُدت إلى المنزل.. سهرت تلك الليلة.. كانت سهرة مختلفة.. انحصر تفكيري فيها بعالمي الجديد.. بالحياة التي بدأتُ أحياها.. بالنساء اللاتي تعرفت عليهن.. لا أعرف لماذا شعرت بأنهن سعيدات.. راضيات عن حياتهن.. قانعات بمستواهن.. قارنت للمرة الثانية بين حياتي وحياتهن.. بين هدفي وأهدافهن.. فما المانع أن أكون مثلهن.. وأعيش حياتهن؟!

لم أصبر إلى الصباح.. أُريد أن أحقق لنفسي السعادة.. أريد الراحة.. أريد الأمان.. أريد الرضا والقناعة.. وقفت أمام محتوى غرفتي.. اجتاحتني ثورة عارمة.. تحول الحب إلى بغض.. والإعجاب إلى اشمئزاز.. هجمت وبكل شراسة.. أمزق وأحطم.. سرت على الحطام بأقدامي.. شعرت ببعض الراحة.. وكأنني انتقمت لنفسي.. انتقمت من عدو خدعني.. يا لها من خديعة..

استمرت لسنوات طويلة.. ولكني قلت لنفسي.. الحمد لله على كل حال.. فالله غفور رحيم.. والتوبة تَجُبُّ ما قبلها...

في صباح اليوم التالي.. بدأت بإعداد مكتبتي الجديدة.. مكتبة من نوع آخر.. فقد كانت هناك كتب جديدة بدلاً من تلك الكتب الممزقة.. وأشرطة عوضاً عن تلك المحطمة.. وبدأت رحلتي الممتعة مع كتاب الله.. بدأ الانسجام بيني وبين عالمي الجديد.. أواظب على دروس المدرسة.. انضبطت في عملي.. لم أعد أحب التكاسل.. عاديت الخمول.. في الصباح معلمة نشيطة.. وفي المساء طالبة مجتهدة.. هذه هي الحياة الحقيقية.. سعادة غامرة.. راحة نفسية.. متعة لا توصف.. والأهم من هذا وذاك الشعور بالأمان.. ذهبت تلك الحسرة.. انمحى ذلك الألم.. لم أعد مكتئبة كما كنت.. تلاشى كل أثر للانكسار النفسي.. لم يعد لدي وقت فراغ.. صداقات المدرسة أعادت ثقتي بنفسي.. وعلوم المدرسة أعادتني إلى الحياة.. كتاب الله طهر أعماقي.. ومجالس الذكر غسلت همومي.. ولقب مطلقة لم يعد يضايقني.. وظروفي الاجتماعية لم تعد تهمني.. فقد أصبحت إنسانة أخرى.. إنسانة جديرة بالحياة....

مجرد سؤال:

ترى كم هي المدة التي مضت وهذه الكتب والأشرطة والنشرات تنتقل من يد إلى يد حتى وصلت إلى هؤلاء المهتدين؟!! ولكن رغم تطاول الزمن، سنحت الفرصة فكانت هذه التوبة، فطوبى لمن كان سبباً في هدايتهم!!

الفصل السادس

لا شيء يمنعك من العمل للإسلام

لا تمنعك معصيتك من العمل للإسلام وحمل همَّ المسلمين..

يُروى أن سبب هداية الزاهد مالك بن دينار أنه كان ذات يوم مارًّا بطريق؛ فوجد ورقة في مزبلة مكتوباً عليها: (لا إله إلا الله)، فأخذها، وأزال عنها الوسخ، واشترى بدينارٍ كان معه طيباً، فطيّبها، وجعلها في مكان مُكرَّم...

فسمع في منامة من ليلته هاتفاً يقول له: «طيبَّت اسمي؛ لأطيبنَّ ذكرك في الدنيا، والآخرة»

فاستيقظ فكان آخر عهده بالمعاصي، وأول عهده بالإقبال على ربه والطاعة.

وقيل: إنه رأى أيام شقائه رجلاً قد تعلقَّ برجلٍ وهو يصيح: لقد أخذ هذا رزق بنياتي...

فانتصر له، وأخذ بحقه؛ ففرح ذلك الفقير، ودعا له، فكان ذلك سبب إقلاعه عن الذنوب...

لا يخلو الإنسان من معصية، فلو ترك كل أحد العمل للإسلام من أجل معصيته؛ لما قام الدين، ولما عزَّ الإسلام والمسلمون...

إن المسلم في هذه الدنيا بين عدوين: عدو من داخل نفسه، وهو الهوى، وعدو من خارج نفسه، وهو الشيطان، **وكل من خالفه في الدين:** كالمشرك والكافر، والمنافق، والحرب بينه وبين العدوين سجال، مرة ينتصر هذا، ومرة ينهزم، فكما أن هزيمته أمام الكافر يجب ألا تدعوه إلى التسليم والخضوع له، بل الواجب أن يُعِدَّ العدة ليقلب الهزيمة نصراً، فكذلك هزيمته أمام نفسه وهواه – بارتكابه للمعصية – يجب ألا تدعوه إلى الاستسلام لشرور النفس وبلائها، بل الواجب أن يجاهدها، ويصابرها، **قال تعالى:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

يجب ألا تدعوه معصيته إلى ترك العمل للإسلام، بل الواجب أن يقاوم معصيته بالصدق في نصح الأمة، والسعي في تخفيف آلامها، بالمال، والكلمة الطيبة، وبعث الوعي فيها، وتبصيرها بمواقع الخطأ، وطرائق الشيطان.

إن بعض الناس يريد من الناصح أن يكون مُبَرّأً من كل معصية، وهذا مستحيل...

وكثيرٌ من الناس لا يقبل النصح إلا من السالم من كل عيب، ويتعجب أن يرى ناصحاً

للمسلمين متلبساً بنوع من المعصية، لكن الإسلام يبين لنا بوضوح أن المسلم قد تجتمع في حقه المعصية، والطاعة على حد سواء...

فلا مانع أن تجد مسلماً يشرب الخمر، وهو من المصلين الصائمين الذين يحبون رفعة الإسلام والمسلمين...

كان رجل يُضْحِكُ النبي – عليه الصلاة والسلام –، يؤتي به كثيراً ليجلد في الخمر، فلعنه بعضهم، **فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»**(١).

والله سبحانه بشَّر كل من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، واعترف بسيئته بالتوبة، **والمسامحة:** ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (التوبة: ١٠٢).

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: (هذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين؛ إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلصين المتلوثين) (٢).

وعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – **قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آتيان؛ فابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن، وهذا منزلك، قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، تجاوز الله عنهم»**(٣).

إن كثيراً من العاصين لا يحملون همَّ هذا الدين، ويستصعبون العمل لنصرة المسلمين بسبب معاصيهم، وهذا من مداخل الشيطان، يصد به المذنبين عن التزام الصراط المستقيم، والحق خلاف ما ظنوا، فإنه ما حمل مسلم هم الإسلام إلا عافاه الله من المعاصي التي كان يرتكبها، ومَنَّ عليه بالتوبة النصوح، والشيطان يعلم هذا، فلذا يوسوس إليه: كيف تدعو إلى الخير، وتنصح وتسعى في نشر الحق، **وأنت عاصٍ؟!**

ويوهمه أنه لن يكون أهلاً لهذا العمل إلا إذا تنزه من كل عيب ومعصية، فإذا انصاع لهذه الوساوس بقي قيد المعصية، فلم يخرج، وهذا ما يتمناه الشيطان.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٨٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله (٤/٢٠٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٦).

إن من جزاء الحسنة الحسنةُ بعدها، كما أن من جزاء السيئة السيئةُ بعدها، وليس أعظم حسنة من أن يحمل المسلم هم إقامة هذا الدين في الأرض، وإصلاح إخوانه المسلمين، فمن حمل هذا الهم، وسعى فيه: أعقبه الله خيراً يعافيه من بلاياه وذنوبه، ويقبل به على بابه، ويفتح عليه من رحماته، **قال تعالى:**

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣٣).

حبس سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – أبا محجن الثقفي في أبيات قالها يمدح الخمر إبّان معركة القادسية، فلما اشتد القتال قال لسلمى زوج سعد: هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلين عني، وتعيريني البلقاء، فلله عليَّ إن سلمني الله أن أرجع إليك؛ حتى أضع رجلي في قيدي؛ فأبت، **فقال أبياتاً مؤثرة مطلعها:**

كفى حزناً أن تدُحم الخيل بالقنا * وأُترَك مشدوداً عَلَيَّ وثاقياً**

فرقّت له، وأطلقته، وأعطته البلقاء - فرس سعد – فركبها، ودخل القتال، فكان يقصف الناس قصفاً، كالليث الضرغام، قد هتك الفرسان كالعقاب، وتعجب الناس منه، وهم لا يعرفونه!

وسعد ينظر فيتعجب منه، ويقول: لولا محبس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن، وهذه البلقاء، فلما جاء الليل رجع إلى سجنه، وأعاد القيد في رجله، فعلم سعد بأمره؛ فدعاه، وقال له: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله.

قال: لا جرم، والله لا أجيب لساني إلى قبيح أبداً (١).

وقد ذكر العلماء مسألة في التوبة، وهي: إن العبد إذا تاب من الذنب، **فهل يرجع إلى ما كان عليه قبل الذنب من الدرجة؟**

والجواب:

إن من التائبين مَنْ يعود إلى مرتبته، ومنهم مَنْ لا يعود، ومنهم مَنْ يعود إلى أعلى منها، فيصير بعد الذنب خيراً مما كان قبل الذنب، بحسب حال التائب وجدِّه وصدقه وندمه(٢)، ولذا قال من قال: (رب سيئة أدخلت الجنة، ورب حسنة أدخلت النار).

وتفسير ذلك: أن العاصي لما ارتكب المعصية؛ صار في خوف، ووجل واستحياء من الله،

(١) الكامل لابن الأثير ٢/٣٣١
(٢) تهذيب مدارج السالكين ١٦٤.

فتاب توبةً نصوحاً، ونِدم ندامة كبيرة، وصار ذنبه بين عينيه، كلما تذكره ذلَّ لله، وخشي مقام ربه، ورهب العقاب، وتضرع إلى مولاه أن ينجيه من كربته، فهو في توبة دائمة، ومسارعة إلى الخير، وحذر من الشر، يرى العاصين فيرحمهم، ويتمنى لهم الهداية والنجاة، فهذا الحال لم يكن منه لولا تلك المعصية، فاستحق بذلك دخول الجنة...

وهذا بخلاف الطائع المغرور بطاعته، المُدِلِّ بها على ربه، المعجب بصلاته، وصيامه، وصدقته، والمتكبر على الخلق بعبادته، والذي يزدري العاصين، ويسخر منهم، ويحكم عليهم بالهلاك، ويحكم لنفسه بالنجاة، فإن مثل هذا لا يَقْبَلُه الله، فلا يقبل الله إلا من المتقين الخائفين، لا الآمنين المتكبرين المعجبين.

ومن أمثلة الذين تابوا فكانوا بعد التوبة خيراً مما كانوا عليه قبلها، القائد البطل صلاح الدين الأيوبي – رحمه الله – فاتح بيت المقدس، ومنقذه من أيدي النصارى الصليبيِّن.

ذكر المؤرخون أنه لما ملك مصر؛ فاستقرت الأمور بيده، هانت عنده الدنيا، وشكر نعمة الله عليه، فتاب من الخمر! وأعرض عن أسباب اللهو، وَتَقمَّص قُمُص الجد والاجتهاد، وما زال على قدم الخير، وفعل ما يقرِّبه إلى الله تعالى إلى أن مات بعد أن فتح البلاد(١)، فكانت حاله بعد توبته خيراً من حاله قبلها – رحمه الله –.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرءَ نبلاً أن تُعدَّ معايبه!**

ليست المعصية عيباً، إنما العيب الإصرار عليها.

والله تعالى لا ينهى العاصي أن يدعو إلى سبيله، إذا كان يتألم لمعصيته، ويرجو التوبة، والهداية، إنما توعد من يأمر الناس بالبر، وينسى نفسه، الذي إذا ظهر أمام الناس خدعهم بصلاحه، وإذا خلا بنفسه فعل المعاصي دون خوف من الله...

* وصاحب المعصية بإمكانه أن يدعو إلى الله من خلال: السيدي المفيد، والكتاب النافع، والمجلة الهادفة، والفتوى المهمة، من خلال مواساة الضعفاء، والنصح للعامة..

ومن أعظم ما يمكن أن ينفع إخوانه المسلمين أن يحذِّرهم من طرائق الشياطين، وكيدهم، فالمرتكب للمعصية أعرف من غيره بالطرق التي تؤدي إلى المعاصي، فمن تمام توبته، وصدقها، وقبولها أن يبين لغيره: كيف يستدرج الشيطانُ الإنسانَ؟ وما هي آثار المعصية على قلب العبد؟ فليس من رأى كمن سمع، ولا من ذاق كمن لم يذق.

(١) وفيات الأعيان ٧/١٥١

اللحظة الحاسمة وعجائب الدعاء!!

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف: ١٧).

في إحدى الليالي المباركة من العشر الأواخر من رمضان كنتُ أصلي القيام أنا وأخي.. الذي يدخن مثلي، في أحد المساجد بحي الناصرية بالرياض، وبعد التسليمة الثانية يستريح عادة القائمون قليلاً لشرب الماء، أو القهوة، والشاي قبل مواصلة قيامهم، فسولت لي نفسي أن أخرج من المسجد لأشرب سيجارة، ثم أعود لمواصلة الصلاة، وأوحيت لأخي بما سولت لي به نفسي، فما كان منه إلا أن قال لي: ما رأيك بدلاً من الذهاب إلى شرب السيجارة أن ندعو الله أن يعيننا على تركه، وأن نترك الدخان لله، وخوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته، وأن نجتهد في الدعاء حتى نهاية القيام سائلين الله ألا يردنا خائبين هذه الليلة، وأن يكرمنا بالهداية.. فوقعت كلماته في نفسي موقعاً حسناً، ووجدت أذناً مصغية، وواصلنا القيام، وبعد نهايته أخرجت أنا وأخي ما تبقى في جيوبنا من سجائر وحطمناها أمام المسجد، وتعاهدنا ألا نشرب الدخان من تلك الليلة المباركة، وأن يعين كل منا الآخر على تركه كلما ضعف، وسولت له نفسه العودة إليه.

والحمد لله كانت لحظةً حاسمةً في حياتنا؛ لم نعد بعدها إلى التدخين بحمد الله وتوفيقه، والآن أصبح لي أنا وأخي أكثر من سنتين لم نشعل فيهما سيجارة واحدة، وعاد الصفاء إلى وجوهنا، وودعنا أمراض الصدر والبلغم والكحة، وانتهت بالنسبة لي رحلة عذاب عمرها عشرون سنة، وفرح الأهل والأصدقاء بما صنعناه.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الماليزية التي غيرت حياتي

كنت قبل إسلامي إنساناً لا يؤمن إلا باللهو والمتعة الرخيصة، وفي الحقيقة لم أكن أعرف معنى أو هدفاً يتجاوز اللذة.

وجاء يوم اختلفت فيه مع زوجتي التي كانت تعاقر الخمر بشراهة، وقررنا الانفصال عن بعضنا.

بدأت أبحث عن زوجة أخرى مختلفة عن مطلقتي في الطباع، والأخلاق وعثرت على عنوان فتاة ماليزية تبحث عن زوج في إحدى المجلات.

فكتبت إليها، وبعد بضع رسائل أعجبت بصفاتها، وأسلوبها، وشخصيتها فخطبتها للزواج لكنني صُدمت برفضها لكوني مسيحياً، وهي مسلمة.

تلك كانت المرة الأولى التي أسمع فيها عن الإسلام، أحببت تلك الماليزية، وشعرت بالغضب من دينٍ يمنعني من الزواج بمن أحب!!

بعد أن سكتَ عني الغضبُ، قررت التعرف على هذا الدين؛ فتوجهت إلى مكتبةٍ قريبةٍ من منـزلي، وابتعت منها كتاباً عن حياة النبي ﷺ.

أخذت أقرأ الكتاب بشيء من القلق، وبعد إتمامي للفصل الأول أحسست بشعور غريب يغمر كياني كله، ثم التهمت باقي الفصول، اتجهت بعد ذلك إلى المكتبة العامة في المدينة لأقضي فيها ساعات طويلة، كل يوم أقرأ كل ما تقع عليه يدي من كتب عن الإسلام.

ملك الإسلام عقلي وقلبي، وما هي إلا أشهر قلائل حتى عرفت قدماي الطريق إلى المركز الإسلامي بالمدينة؛ وأعلنت إسلامي.

ومنذ تلك اللحظة طلقت حياة اللهو، وأقلعت عن شرب الخمر، وهو ما كنت اعتقد أنني لن أتمكن من التوقف عنه بتاتاً.

وعدت لمراسلة الماليزية التي شغفت فؤادي، وأعلمتها بإسلامي، وأنني قادم إلى كوالالمبور للزواج منها.

وصلت إلى ماليزيا، والتقيتُ بالفتاة وأسرتها، ولم تكتمل فرحتي عندما رأيت فتاتي غير محجبة، ولا تلتزم بأداء الصلاة، إلا أيام الجمعة، وفي رمضان.

قلت لها: لقد كنت السبب في هدايتي ونجاتي من الكفر، فكيف أتزوجك وأنت على هذا الحال؟!

رفضت الزواج من تلك الماليزية رغم عرفاني بفضلها، وعدت من حيث أتيت، وأقلعت في أول طائرة عائدة إلى الولايات المتحدة، وأنا أدعو الله أن يرزقني زوجة صالحة تعينني على ديني، وتسر خاطري، وتحفظني في نفسها ومالي.

كتلة لحم جامدة

فتاةٌ تصاب بحادث يسبب إصابتها بالشلل الرباعي (انعدام الحركة في جميع أجزاء الجسم، ما عدا الكتف، والذراعين فقط) ورغم ذلك استغلت تلك الفتاة وقتها فيما يعود عليها بالنفع الأخروي.

تقول هذه الصابرة المحتسبة: كان عمري عندما أصبت بالحادث ١٦ عاماً، والآن أرقد على هذا السرير قرابة ١٢ عاماً. أحفظ من القرآن ١٥ جزءاً، ولله الحمد، أقوم بإعداد المحاضرات بالتعاون مع بعض الأخوات اللاتي يقمن بنشرها، وإلقائها في بعض المساجد، ومدارس التحفيظ، وأقوم بإرسال بعض الكتب الدينية لمن يستفيد منها، وعن بعض ما تعاني منه تقول: أجد صعوبة في التنقل من جنب إلى جنب، وأعاني من بعض القروح المزمنة بسبب ملازمة الفراش، ولا أقول ذلك للشكوى، وإنما ليعتبر من أنعم الله عليه بالصحة والعافية؛ ليستغل هذه الصحة في طاعة الله سبحانه، وتقول أيضاً: لا أستطيع الصيام لما أجد من متاعب في المسالك البولية، أما عن كيفية أدائها للصلاة فتقول: أصلي وأنا مستلقية على السرير، وطبعاً أتيمم لأني لا أستطيع الوضوء، وبما أن فراشي الذي أنام عليه سرير طبي فأرفعه قليلاً، وأصلي وأنا على ظهري، وتختم حديثها بكلمات مؤثرة توقظ الغافل والغافلة (يحضرني حديث رسول الله ﷺ فيما رواه عنه عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما –: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» (١) وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت لا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك): «اغتنم خمساً قبل خمس:... صحتك قبل مرضك» وهذه الصحة غالية لا يعرفها إلا من عانى فقدها؛ فأنصح إخواني وأخواتي باستغلال هذه الجوارح في طاعة الله، والذهاب إلى الأماكن التي يكثر بها ذكر الله كمدارس تحفيظ القرآن، وألا يعصوا الله بنعم الله؛ فلا يستغلوها في الذهاب إلى أماكن اللهو والمنكرات، بل عليهم استغلالها قبل فوات الأوان فالدنيا ساعة؛ فاجعلها طاعة؛ **فلا يدري الإنسان متى يُفَاجأ بالأجل:**

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾ (لقمان: ٣٤).

أنا كنت في حالة من الصحة والعافية، وفي بضع دقائق تحولت إلى كتلة لحم جامدة) أ. هـ

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٧١) ومسلم برقم (٤٤٢٣).

التعليق: وبعد قراءَتنا لهذه القصة الواقعية: هل نتذكر نعمة الصحة والعافية التي نرفل فيها؟! هل تذكرنا نعمة الحركة والمشي والقيام بشؤوننا الخاصة؟! هل تذكرنا نعماً أعطانا الله إياها، ونحن نعصيه بها؟! واعجباً!! أين شكر هذه النعم؟!

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: (النعم إذا شَغَلَتك عن المُنعِم كانت من المصائب)

نسأل الله سبحانه أن يمتعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وأن يجعلها معينةً لنا على طاعته، وأن يشفي مرضى المسلمين، إنه على كل شيء قدير.

عندما طُرق الباب

بينما أنا نائم في إحدى الليالي، إذ بالباب يطرق في الساعة ١٢:٣٠ تقريباً، ففتحت الباب، وإذا بي أرى رجلاً واضحاً من مظهره أنه ممن يعاشر المعاصي!، وقال: معي أناس يريدون أن يُسلِموا في السيارة، ماذا أفعل بهم؟!! فلم أُصدق الرجل في بادئ الأمر، وعندما ألقيت نظرة في السيارة رأيت رجلين من الفلبين يريدان أن يُشهرا إسلامهما، وعندما سألتهما، أجابا: أن الرجل أهدى لهما كتباً عن الإسلام ويريدان أن يشهرا إسلامهما بالفعل!

الله أكبر!.. بمجرد أن اشترى كتاباً ببضعة ريالات هدى الله على يديه ليس رجلاً بل رجلين!!

ولنا أن نتصور الأعمال الصالحة التي سيفعلانها من صلاة وزكاة وصيام وغيرها.. كل ذلك ويأخذ منه ذلك الرجل نصيبه من الأجر، فالدعوة أمر يسير جدًّا؛ فشراء كتاب أو أخذه من مكاتب الدعوة بالمجان وإهداؤه لغير المسلمين في الأماكن العامة: كالمستشفى، أو العمل، أو الشارع ربما يهدي الله به على يديك مَنْ يشاء فتكسب الأجر العظيم، قال ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم**»(١) وحُمُر النعم هي (الإبل الحُمْر، وهي أنفس أموال العرب).

امرأة في اللحظات الأخيرة

كنت أجلس في مكتبي بعد أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة في إحدى الليالي الطويلة من شتاء (أوريجن) الطويل في شمال غربي القارة الأمريكية بالولايات المتحدة

وفي مدينة (يوجين) حيث كنت طالباً في جامعة (أوريجن) أمسيت ذات ليلة مستغرقاً في الدرس، وبينما أنا كذلك والهدوء مخيم، والصمت مطبق لا يقطعه إلا صوت ابنتي الصغيرة وهي تلعب.. وصوت زخات المطر المتقطع (وإن كنت أستأنس بذلك كله، ويبعث فيَّ روحاً من النشاط)...

وبينما أنا كذلك إذا برنين الهاتف يتسلل بين تلك اللحظات الساكنة؛ وها هو أخ لي في الله جزائري اسمه (شكيب).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٥) ومسلم برقم (٤٧٨).

وبعد التحية والسلام.. أخبرني بحادثة جد غريبة.. وسعيدة في آن واحد!! فقد كان لزوجته الأمريكية المسلمة (كريمة) خالة على ديانة الصليب والتثليث، وقد أَخَذتها إلى مستشفى (سيكرت هارت) – الذي يبعد عن منـزلي مسيرة ثلاث دقائق – وبعد تشخيص حالتها لم يستطع الأطباء إخفاء الحقيقة.. فالمرأة ميئوس من حياتها.. وإنها مفارقة لا محالة.. والأمر ساعة، أو ساعتان، أو أكثر أو أقل – والعلم عند الله وحده –.

ثم ذكر لي ما جرى له ولزوجته، وأنا في ذهول تام، أستمع إلى نبرات صوته تتهدَّج وكأني أحس بنبضات قلبه وحشرجة تعتري صوته بين الحين والآخر، وقد قال لي بالحرف الواحد: تحدثتُ مع زوجتي في حال خالتها، وتشاورنا في إجراء محاولة أخيرة ندعوها فيها إلى الإسلام، ولو بقي في عمرها ساعة ما دامت لم تغرغر الروح. قال صاحبي: فاستعنت بالله، وصليت ركعتين، ودعوت الله – عز وجل – وأنا في السجود، لها بالهداية، وأن يشرح صدرها لدين الهدى والحق.. وذلك لعلمي «**أن العبد أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد**».

ثم اتجّهتْ كريمة إليها في المستشفى، وعَرضَتْ عليها الإسلام، وأخبرتها أن الإسلام يجبُّ ما قبله، **وأن الله يغفر لها ما قد سلف من عمرها إن هي قالت:** (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) خالصة من قلبها. غير أن تلك المرأة المريضة قد فقدت القدرة على الكلام، فطلبت زوجة صاحبي بفطنة وحسن تصرف من خالتها المريضة أن تنطق بالشهادتين في نفسها إذ كانت عاجزة عن النطق بلسانها، وأنها إن فعلت ترفع يدها إشارة لذلك.

وبعد أن أوضحت لها معناها بالإنجليزية، **قالت لها: قولي بقلبك:** أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم كانت لحظات حرجة على كريمة؛ فكم تتمنى لخالتها النجاة من نار وقودها الناس والحجارة، ومع دقات قلب متسارعة مرت ثوان بطيئة متثاقلة لا يشبه تثاقلها إلا حركة يد المرأة المريضة التي بدأت ترفع يدها بعد أن سمعت تلقين الشهادة أكثر مما كانت تستطيع أن ترفعها من قبل، وابتسمت معلنة رضاها، واختيارها، وقبولها دين الإسلام.

فما كان من (كريمة) وهي في قمة الفرحة والسرور إلا أن بدأت تبشرها، وتقرأ عليها القرآن... بينما ظلت تبتسم بسماع القرآن إعلاناً منها برضاها التام بما تسمع من آيات الذكر الحكيم.

وإذا بالممرضة الأمريكية – التي كانت تتابع ما يحدث دون أن يشعر بها أحد– تتقدم لتعرض تبرعها بأن تكون شاهداً رسمياً على إسلام خالة كريمة إن احتيج إلى ذلك.. أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

لا إله إلا الله، وها هو صديقي شكيب يسألني عما يجب علينا تجاه هذه المرأة التي ما زال لها عِرق ينبض، ونَفَس يجري.

أجبته: إنها أخت لنا في الإسلام؛ لما ظهر لنا من شأنها، ونترك سريرتها إلى الله – عز وجل – قلت له ذلك، وأنا في غاية الذهول، وقلبي يخفق فرحاً لإسلام هذه المرأة، وهي في مراحل متقدمة من المرض، وقد يئِسَ الأطباء من شفائها.

وذكرت لأخي قول الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه الذي رواه ابن مسعود – رضي الله عنه –، **قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق-: «إن أحدكم يُجمع خَلقُه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً، ثم يكون عَلقَة مثل ذلك، ثم يكون مُضْغة مثل ذلك، ثم يَبعْث الله إليه ملكاً بأربع كلمات؛ فيكتب: عملُه، وأجلُه، ورزُقه، وشقي، أو سعيد، ثم يُنْفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار»**(١).

ثم وضعت سماعة الهاتف.. أطرقت لحظة، وضعت كفي على خدي؛ فما شعرت بنفسي إلا وأنا أجهش بالبكاء تأثراً واستبشاراً، وكذلك فعل مَنْ حولي عندما رويت لهم القصة، وكانت لحظات معطرات بالخشوع والدموع حامدين فيها الله تعالى، مهللين له، ومسبحين لما تفضَّل به على هذه المرأة من الهداية.. أما صاحبي فقد أخبرني عندما التقيت به في المسجد فيما بعد، أنه كلما ارتسمت في خياله صورة هذا الموقف، غلب عليه شعور غريب من الدهشة، وأحسَّ في جسده بقشعريرة، ثم لا يجد في نفسه إلا مزيداً من الرغبة في الصلاة، وطول السجود، والمكث في المسجد.

مهلاً فالحكاية لم تنته بعد.. ففي الليلة نفسها التي أسلمت فيها هذه المرأة – وما مضت ساعات على محادثتي معه – وعندما هاتفت صاحبي لأخبره بأن عليها أن تصلي المغرب والعشاء على ما يتيسر لها، ولو إيماء، إذا به يخبرني بأن الأجل المحتوم قد سبق الجميع إليها، فأسلمت روحها لباريها مسلمة راضية بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وما صلت لله صلاة واحدة!!

فاللهم إنا نسألك أن ترحمها، وأن تتقبلها بأحسن القبول..

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

الفصل السابع

من مآسي المسلمين!
ومن جهود المُنصِّرين!!

سبعون عاماً

أكثر من سبعين عاماً عاشها المسلمون في روسيا، وآسيا الوسطى خلف أسوار القفص الحديدي الشيوعي... أكثر من سبعين عاماً من القهر، والاستبداد، والتسلط.. أكثر من سبعين عاماً صبَّ فيها الشيوعيون كل ألوان الطغيان، والقتل.. أكثر من سبعين عاماً مُحي فيها التاريخ بالقوة، ومسخت الهوية، وأصبح مجرَّد الانتساب إلى الإسلام جريمة عُظمى ليس لها عقوبة إلا الإعدام.

وفجأة يتحطم ذلك القفص، وتتمزق أجزاء تلك الإمبراطورية الحمراء، وتنطلق كل الأعراف، والأجناس في البحث عن هويتها المنتزعة، وتاريخها المفقود، حتى الروس أنفسهم عادوا إلى الاعتزاز بالقيصرية الروسية، وراحوا يشيدون الكنائس الأرثوذكسية، ويُظهرون معالم الصليب، وانطلق المسلمون – من حيث الجملة – مع مَن انطلق في تلك العودة، وعادت المآذن – بحمد الله – تعلو من جديد، وسمع الناس أصوات التكبير تُعطِّر الأجواء.

عاد الناس بعاطفتهم المتشوقة إلى الإسلام، يحدوهم الحنين، والتطلع إلى ماضٍ عريقٍ عاشته أمة الإسلام في ديارهم.

ذهب أحد الدعاة إلى ريف من أرياف المسلمين هناك، وأعطى نسخةً من القرآن الكريم لعجوزٍ مسلمة ربما جاوزت الستين عاماً، ففتحت عينيها مستغربة، تملؤها الدهشة، ثم جالت في نفسها ألوان من الأفكار والمشاعر، وفجأة أجهشت بالبكاء، وأخذت تُقبِّل المصحف، وتُقَلِّبُه على وجهها، ثم راحت تجري، وتنادي أبناءها، وتتحدث معهم بلهفة، وكأنها تُعرِّفهم بكنز مفقود طالما انتظروا الحصول عليه، ثم التفتت إلى الداعية، وقالت له: لقد كان أبي يُحدثنا أن جده كان يملك نسخة من القرآن الكريم يتلو فيها على أبنائه..!!

وبعد أحاديث عابرة أراد صاحبنا أن ينصرف مع رفاقه، فأبت عليهم، وألحَّت عليهم إلحاحاً شديداً إلا دخلوا بيتها، فقبلوا دعوتها تطييباً لخاطرها، **ثم قالت على استحياء:** هل يتيسر لكم أن تعلموا أبنائي سورة الفاتحة، أما أنا فقد ذهب عمري..؟! ولما أرادوا الانصراف؛ **قالت لهم:** ليس عندي ما أجازيكم عليه، ولكن أرجو أن تقبلوا هذا – وأخرجت عملة روسية (الروبل) – عرفانا بجميلكم ووفاءاً بحقكم..!!

إنها عاطفة بدأت تدب فيها الحياة من جديد، لكنها في أغلب الأحوال عاطفة غير موجهة التوجيه الصحيح، وغير مُستثمرة الاستثمار الأمثل؛ فالجهل يضرب بأطنابه في عقول الناس، ولذا

أصبح الانتماء إلى الإسلام عند كثير من الناس جزءاً من الانتماء العرقي والتاريخي، وأدى ذلك إلى انسياق عامتهم وراء حملات التغريب والعلمنة التي قادتها أمريكا وأوروبا التي افتتن فيها الناس جميعاً بمختلف أديانهم، وأعراقهم، بعد أن تخلصوا من جحيم الكبت، والذلة. لقد حرص الغرب على تصدير الحضارة الأخلاقية، والاجتماعية الغربية إلى روسيا، والجمهوريات المختلفة، واعتبرها سوقاً استهلاكية يسهل غزوها، والتأثير عليها.

بل إن حملات التنصير الكاثوليكية، والبروتستانتية لما وجدت الصدود والاستنكار من الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا الاتحادية وغيرها، وجَّهت حملاتها التنصيرية إلى مناطق المسلمين خاصة في: كازاخستان، وأوزبكستان وطاجكستان، ووجدت فيها أرضاً خصبة يسهل غزوها والتأثير عليها.

إن المسلمين في روسيا الاتحادية وآسيا الوسطى يُمثِّلون عُمْقاً استراتيجياً في غاية الأهمية، كما يمثلون ثقلاً بشرياً لا يمكن الاستهانة به على الإطلاق، ولكن مع الأسف الشديد كان الملتفت الأكبر لهم من المسلمين: إيران المجوسية..! فهل ندرك أهمية تلك المناطق، أو نطويها كما طُويت مناطق أخرى من مناطق المسلمين..؟! وهل نسعى – نحن الدعاة – لبعث الهوية الضائعة إلى المسلمين..؟! وهل نستغل تلك العاطفة المتّقدة في نفوسهم، أم ننساهم كما نسينا غيرهم..؟!

في تشاد...!

تنامى إلى مسامعنا وجود مجاعة... لم نتخيل الموقف فقررنا زيارة المنطقة، والوقوف على أحوال الناس هناك بأنفسنا، حيث كانت المفاجأة فبعد تجاوز قرية (انجامينا بلالا) بعشرين كيلومتراً تقريباً بدأنا نشاهد حفراً على جانبي الطريق، وتبين لنا أن هذه الحفر هي في الأصل بيوت للنمل؛ حفرها الناس بحثاً عما يخزنه النمل في بيته من حبوب صغيرة تسمى (الكريب)، ولم نشاهد الناس يحفرون لأننا وصلنا الساعة السادسة مساءً بعد قضاء ست ساعات في الطريق الترابي، فاتجهنا إلى إحدى القرى، وسألنا أهلها عن حقيقة الأمر.. هل فعلاً الناس يداهمون بيوت النمل للحصول على وجبة في اليوم؟! فقالوا: نعم، فنحن الآن نعيش على بيوت النمل بعد الله سبحانه وتعالى، وأحضروا لنا عينة من هذه الحبوب التي يستخرجونها من بيوت النمل لإطعام أنفسهم وأطفالهم...

أعطيناهم جزءاً من زادنا في السفر من التمر، وودعناهم، ولكن أثناء الرجوع قررنا التأكد بأنفسنا، ومشاهدة الناس، وهم يحفرون بيوت النمل واقعياً، وفعلاً نمنا قريباً من المنطقة، وفي الصباح الباكر انطلقنا نبحث عنهم للتأكد من ذلك، لم نجد أحداً في القرية، بحثنا يميناً ويساراً؛ فلم نجد إلا بيوت نمل محفورة، فأشار إلينا دليلنا بالتوغل بعيداً عن الطريق، فدخلنا عدة كيلو مترات فشاهدنا أناساً من بعيد كالأشباح، فالبعض يهرب بمجرد وصولنا، أو اقترابنا، وأكثرهم نساء؛ فأصبحنا نرسل الدليل لمحادثتهم، وإيضاح سبب مجيئنا لهم، فأصبحوا يتحدثون معنا بطلاقة.

وقد يطول الكلام في التحدث عما شاهدناه من واقع مأساوي لهؤلاء الناس، ولكن أذكر لكم ثلاثة مشاهد وقفنا عليها بأنفسنا، وهي مواقف مؤثرة:

الموقف الأول:

امرأة حامل تقف على بيت النمل تحفره لاستخراج بعض حبوب الكريب، وأطفالها يقفون بجانبها ينتظرون... **سألناها:** هل عندكم شيء تأكلونه غير هذا الذي تستخرجونه من بيوت النمل؟ **قالت:** لا. **قلنا:** منذ متى، وأنتم على هذه الحال؟ **قالت:** من نهاية الخريف الماضي، أي منذ خمسة أشهر، ونحن نعيش على بيوت النمل... **قلنا:** هل عندكم ماشية؟ ضحكت مستغربة، **وقالت:** من أين لنا بالماشية؟! ليس عندنا شيء؛ حتى الآنية التي نستخدمها للطبخ بعتها... **قلنا أين:** رجالكم؟ **قالت:** سافروا منذ عدة أشهر للبحث عن لقمة العيش، ثم أضافت **تقول:** إنني أحياناً أجلس أربع ساعات لا أستطيع الحركة من الجوع، **وقلنا لها:** إذا انتهت بيوت النمل، فماذا ستفعلين؟ فأجابت إجابة اقشعر منها بدني، واهتز لها قلبي حين **قالت:** أليس الله رازقنا؟!! نعم إنه الإيمان بالله وكفى!!

الموقف الثاني:

اقتربنا من امرأة جالسة فوق بيت النمل تحفر، فإذا هي امرأة مسنة أكل من عمرها الدهر، تنظر إلينا نظرات ملؤها الحزن والاستغراب في الوقت نفسه.. **سألناها:** هل عندكم شيء تأكلونه غير هذا الذي تأخذونه من بيوت النمل؟ **قالت:** لو عندنا شيء نأكله، هل تظن أننا سنحفر بيوت النمل؟! وبعد الحوار معها تبين أنهم على هذه الحال منذ خمسة أشهر؛ حيث يخرجون من الصباح الباكر، يبحثون عن بيوت للنمل لم تُحفر، ويستخرجون من كل بيت ما يستطيعون تصفيته، حتى يجتمع لهم مع حلول المساء ملء الكف، أو يزيد قليلاً، حيث يُطْحَنُ، ويُضاف له الماء، ويُصْنَعُ به الطعام لهم ولأطفالهم.

الموقف الثالث:

امرأة تحفر بيتًا للنمل، ويقف بجوارها طفلها، وعمره ست سنوات تقريباً، وهذا الطفل يحمل خلف ظهره رضيعاً عمره أربعة أشهر، وهذا في الساعة العاشرة صباحاً تقريباً، حيث اشتدت الشمس، والطفل الرضيع غطى رأسه العرق من حرارة الشمس... بعد الحوار معها كانت إجاباتها نفس إجابات النساء اللاتي سبق لنا سؤالهن.. إنها على هذه الحال منذ خمسة أشهر، وزوجها ذهب لطلب لقمة العيش، وتبدأ في حفر بيوت النمل من الصباح إلى المساء للحصول على وجبة طعام لها ولأطفالها، وعندما وضعتُ في فم الرضيع تمرة أخذ يتذوقها بلسانه، وعندما أحس بحلاوة التمرة أخذ يضحك، وكأنه لأول مرة يتذوق الطعم الحلو.

وبعد هذه المشاهدات الحية توصلنا إلى عدة أمور نوجزها في النقاط التالية:

١. إن سكان هذه المناطق يعيشون على بيوت النمل منذ خمسة أشهر، وهذه مأساة حقيقية.

٢. إن أكثرهم: نساء، وأطفال، وعجائز؛ لأن الرجال سافر أغلبهم لطلب الرزق، والاستعداد لموسم الخريف القادم.

٣. سبب هذه المأساة هو الجفاف الذي أصابهم لمدة سنتين متتاليتين، والذي لا يملك مواشي تكون حالته صعبة جداً، وليس له بعد الله إلا بيوت النمل!

٤. إن بقاءهم على هذا الحال إلى الخريف القادم بعد خمسة أشهر يُعْتبر كارثة؛ إن لم يُتَدَارَكُ الأمرُ.

٥. إن الدولة والمؤسسات الموجودة في الساحة ليست على المستوى الذي يؤهلها لتغطية هذه المساحات الشاسعة المنكوبة، والوضع في طريقه إلى التفاقم إن لم يُتدارك.

٦. الناس لا تجدهم قريبين من قراهم في النهار؛ لأنهم نبشوا بيوت النمل التي حول القرية؛ فأصبحوا يذهبون لمسافات بعيدة بحثاً عن بيوت نمل لم تُحْفَرْ!!

٧. الواجب علينا أن نقف مع إخواننا يداً بيد، قبل أن يسبقنا إليهم أعداؤنا من الروافض والمنصرين.

نداء مؤلم

يمر الشعب الصومالي بمأساة كبيرة واسعة النطاق، حيث تستمر الهجرة الجماعية منذ سنوات عديدة هرباً من رحى الحرب القبلية التي تدور على أرض الصومال، ويقدر عدد اللاجئين الصوماليين في الأراضي الكينية بحوالي أربعمائة ألف نسمة، وفي الإحصاءات الرسمية الكينية بلغ عدد اللاجئين يومياً ٥٥٠ شخصاً.

وقد قمت بتيسير الله بزيارة إلى مواقع اللاجئين في مواقع عديدة من المدن الكينية، **مثل:** منديرا، وعيلواق، وبانيسا، وإيفو، وليبوي. كما زرت أيضاً في الأراضي الأثيوبية مخيمي: صوفتو، ودولو، وزرت داخل الأراضي الصومالية مدينة حواء، فرأيت في هذه المخيمات ما يجل عن الوصف، ويعجز القلم عن ذكره: عشرات من الأطفال يتساقطون يومياً بسبب الجوع، وسوء التغذية، وعشرات من النساء والعجزة أهلكهن المرض والحزن.. فكل أسرة تحمل مأساة تنهدُّ لها الجبال، وإذا فاتحت أحد اللاجئين عن حاله سرد لك حكاية طويلة من المآسي والعنت. فهذا أحدهم يحدثني عن أسرته بأنها كانت قبل شهرين عشرة أفراد، وأما اليوم لم يصبحوا إلا أربعة. وطفل آخر لم يبلغ العاشرة من عمره رأيته ملقى على الأرض ينتظر منيِّته، وحدثوني أنه حافظ لجُزْأي (عم) و (تبارك) ولم يبق من أسرته أحد سواه.. ومآسٍ كثيرة يطول ذكرها، ويصعب حصرها.

وفي مدينة (منديرا) مات أثناء وجودنا فيها أكثر من ثلاثين طفلاً بسبب الجوع والمرض، ورأينا عدداً غير قليل من الأطفال والنساء في حالة الاحتضار، ومن المحزن أن ٨٠٪ تقريباً من النساء الحوامل يمتن أثناء الولادة لعدم وجود الرعاية والعناية بهن، ولهذا استحدث الناس بجوار كل مخيم مقبرة جديدة.. وفي عدد من الأماكن التي نذهب إليها كان الناس يقولون لنا: لا نريد منكم طعاماً، ولا شراباً، ولكن نريد منكم أكفاناً نكرم بها موتانا!!

بل حتى لباس الأحياء لا يتوفر عند بعضهم، فالعري أصبح ظاهرة طبيعية خاصة بين الأطفال، وكم من امرأة لا تستطيع أن تخرج من كوخها لأنها لا تجد ما تستتر به! وقد رأيت في مخيم – أيفو – وهو أحد المخيمات القليلة التي وزعت فيها الخيام – ينزعون البطانة الداخلية لخيامهم، ويلبسونها النساء والأطفال لعدم توفر الكساء.

ومما زاد الأمر سوءاً قسوة الجفاف الشديد الذي أصاب الأراضي الكينية المجاورة للصومال؛ مما أدى إلى موت المواشي والحيوانات التي هي مصدر الرزق الوحيد لعامة الناس، وهذا أدىَّ إلى هجرة جماعية لأهالي البادية الكينية، وقد زرت مدينة وجير الكينية فوجدتها أكثر سوءاً من بعض مناطق اللاجئين الصوماليين. ففي مخيم واحد مات حوالي ٢٠٪ من الأطفال

تحت سن خمس سنوات خلال شهر، وهم كلهم مسلمون...!

والمياه إحدى المشكلات الأساسية التي تعاني منها المنطقة، حيث لا تتوفر الآبار بشكل كاف، ففي مدينة وجير الكينية على سبيل المثال يوجد سبعة وأربعون بئراً إرتوازية، لا يعمل منها الآن إلا سبعة عشر بئراً فقط، وقد وصل الحال ببعض الناس أنهم يسيرون أكثر من خمسين كيلومتراً بحثاً عن الماء، وفي بعض مواقع اللاجئين رأيت الناس يصطفون إلى منتصف النهار؛ لكي يحصلوا على إناء من الماء لا يكفيهم ليوم واحد..!!

وبسبب انعدام أبسط المتطلبات البشرية؛ انتشرت الأمراض انتشار النار في الهشيم، ومن أبرز الأمراض التي رأيتها:

١. أمراض سوء التغذية، حتى إنك لا ترى إلا هياكل عظمية، لا تقوى على الوقوف، أو الحركة من شدة الإعياء بشكل كبير جدًّا. وقد رأيت في مخيم (عيلواق) طفلاً لم يتجاوز الخامسة من عمره قد انتفخ وجهه، وبطنه؛ وأصبح كأنه من عالم آخر..!

٢. الأمراض الجلدية بأنواعها المختلفة، حتى رأيت في مخيم (دولو) الإثيوبي أشكالاً عجيبة تقرحت جلودهم، وتغيرت ملامح وجوههم.

٣. كما انتشرت بينهم أمراض: السل، والملاريا، والحصبة، والإسهال.

أما الأحوال في داخل الصومال فهي أشد مرارة، وقسوة، حيث مارست القبائل المتناحرة دورها بكل صلف وفوضوية، تُغير، وتقتل، وتحرق الأخضر واليابس.. والناس يفرون من أرض إلى أرض بحثاً عن الأمن.. وقد بلغ الوضع بالناس إلى حالٍ شديدة لا تُتَصَور، ففي مدن (جلب)، و (مركة) و (قُربولي) بدأ الناس يطبخون جلود الحيوانات، ويأكلونها لأنهم لم يجدوا غيرها..!!

وعلى الرغم من أن اللاجئين الصوماليين في كينيا مسلمون ١٠٠٪ ، إلا أن التنظيمات التنصرية غزت الساحة بصورة مذهلة جدًّا، فالنشرات التنصرية أصبحت بأيدي الناس، وقد رأيت بنفسي بيد أحد الأطفال قصة مصورة باللغة الصومالية محتواها أن المسيح هو المخلص والمنقذ..! ورأيت في مخيم (وجير) منصِّرةً بريطانية تقدم مساعدات غذائية للمتضررين، وتساعدهم في بناء منازلهم من القش.. ولكي تستطيع أن تؤثر في صفوفهم سمت نفسها (عائشه)..!!

ومن أبرز المنظمات التنصيرية العاملة في الميدان:

١. منظمة الصليب الأحمر.

٢. منظمة كير Care الكاثوليكية البريطانية.

٣. منظمة أطباء بلا حدود MSF الهولندية.

٤. منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية.

٥. منظمة أوكسفام البريطانية للإغاثة.

٦. منظمة العون الأمريكي.

٧. منظمة الرؤيا العالمية.

٨. منظمة جي تي زت الألمانية.. وغيرها.

والعجيب أن هذه المنظمات التنصيرية تريد أن تحتكر العمل بأكمله، وتضيِّق على المنظمات الإسلامية العاملة في الميدان، فبالتنسيق مع منظمة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (UNHCR) احتكرت منظمة كير الكاثوليكية توزيع المواد الغذائية، كما احتكرت منظمة (MSF) الفرنسية الأعمال الطبية، وتحاول هذه المنظمات أن تعيق أعمال الهيئات الإسلامية، وتعرقلها، ولكن يأبى الله ذلك.

فعلى الرغم من هذا الزخم التنصيري المتلبس بلباس الإغاثة، إلا أن الناس – بحمد الله تعالى – لا زالوا يشعرون بهويتهم الإسلامية – ويفرحون فرحاً شديداً إذا رأوا رجلاً مسلماً. ومن المواقف التي أسعدتني في مخيم (عيلواق) أن الناس اجتمعوا حولنا، ولما أردت الخروج من بينهم دفع أحد الأطفال أخته الصغيرة **قائلاً لها:** ابتعدي عن طريقه أتظنين أنه نصراني؛ إنه مسلم! فأظهرت استبشاري بذلك لأحد العامة، فقال لي، والأسىٰ يعصر قلبه؛ لقد كنا في بادية الصومال نسأل الله – عز وجل – ألا يُرَينا كافراً. وكان الناس لا يشربون في الإناء الذي شرِب فيه الكافر إلا بعد غسله بالتراب! ثم قال: وأما الآن فأصبحنا نفرح بمشاهدتهم، ونجري وراءهم؛ لنبحث عن لقمة العيش التي لم نجدها إلا منهم، ثم ذرفت عيناه، وهو يقول: فأين أنتم يا مسلمون..؟!!

وأُجمل الاحتياجات العاجلة للاجئين بالنقاط التالية:

١. المواد الغذائية بمختلف أنواعها، وخاصة حليب الأطفال المجفف الذي لا يتوفر في كينيا.

٢. المياه النقية وهذا يتطلب حفر آبار إرتوازية عديدة.

٣. توفير الأدوية للأطباء.

٤. توفير الملابس والخيام.

وأخيراً...

هذا نداء عاجل أبعثه باسم اليتامى الذين فقدوا آباءهم؛ فلا تسمع إلا صُراخهم، باسم الثكالى اللاتي أنهكهن المرض؛ فلا ترى إلا دموعهن، باسم الشيوخ والعجزة الذين أسقطهم الجوع فلا تسمع إلا نحيبهم.. باسم مسلمي الصومال الذين يموتون في كل ساعة وما من مجيب للنداء!!

أبعثه إلى كل مؤمن بالله تعالى يهمه أمر المسلمين.

إلى كل مؤمن مصدق بقول النبي ﷺ: «اللهم أعط منفقاً خلفاً..»(١) وبقوله ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»(٢).

اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد.. اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد..

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٥١) ومسلم برقم (١٦٧٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٦٨٩).

عندما عرفت قدر نفسي

كنت في رحلة دعوية إلى الحدود البرية بين دولتي السنغال وموريتانيا، حيث يوجد عدد كبير من اللاجئين النازحين من موريتانيا.

كان الطريق وعراً موحشاً؛ أصابنا فيه شدة وتعب، قطعنا فيه المفازة بعد المفازة، ولا نرى أمامنا إلا أمواجاً من السراب، تزيد من هَمِّ الإنسان وتَطَلُّعه إلى النهاية، لا نصل إلى قرية من القرى المتناثرة هنا وهناك إلا ونجد من يحذرنا من: قُطَّاع الطرق، ولصوص الصحراء، تسع ساعات مرت وكأنها لا تريد أن تنتهي، ثم يسر الله لنا الوصول إلى مواقع اللاجئين، وقد أسدل الليل ظلامه.

وجدت صاحبي قد أعد لنا خيمة، ووضع فيها فراشاً بالياً هيأه لنومي، ولكن ما أجمله من فراش بعد أن هدَّ مِنَّا السفر ما هدّ. ألقيت بنفسي بشيء من الاعتزاز والفخر، بل أحسست بالعُجْب والاستعلاء! فمن ذا الذي سبقني إلى هذا المكان؟! ومن ذا الذي يصنع ما صنعت؟! ومن ذا يستطيع أن يتحمل هذه المتاعب؟! وما زال الشيطان ينفخ في قلبي حتى كدت أتيه كِبراً وغروراً – والعياذ بالله – إلا أن الله رحمني فنامت عيني، ورحت أغط في سبات عميق.

خرجنا في الصباح الباكر نتجول في أنحاء المنطقة، حتى وصلنا إلى بئرٍ يبعد حوالي كيلومتر واحد عن منازل اللاجئين يرتوي منه الناس، ويستقون، فرأيت مجموعة من النساء يحملن على رؤوسهن قدور الماء، ولفت انتباهي امرأة بيضاء من بين أولئك النسوة، كنت أظنها –بادي الرأي– واحدة من نساء اللاجئين مصابةً بالجُذام المنتشر بين بعض الناس هناك، لكني فوجئت بأنها مُنَصِّرةٌ شابة في الثلاثينيات من عمرها من أقاصي شمال أوربا، من النرويج!!

قال لي مرافقي: منذ ستة أشهر وهي مع نسائنا، تلبس لباسنا، وتأكل طعامنا، وترافقنا في أعمالنا، جاءت إلينا وهي تعرف لغتنا القَبلَيَّة، وبعض عاداتنا.

في بعض نهارها تداوي المرضى من النساء والأطفال، صاحبتها تعلمهن الخياطة، وبعض الأعمال اليدوية، وفي أول الليل تجتمع مع بعض الفتيات يتجاذبن معها أطراف الحديث، وتعلمهن قواعد القراءة والكتابة، وقد خصصت لهن بعض الليالي لتعليم الرقص، أحبها الناس كباراً وصغاراً لتواضعها، وخدماتها التي لا تنقطع؛ فكم من يتيم مسحت رأسه! وكم من مريض داوت ألمه!

عجبت – والله – أشد العجب من هذه المرأة، **فما الذي دعاها إلى هذه القفار النائية وهي على ضلالها؟! وما الذي دفعها لتترك حضارة أوربا ومروجها الخضراء؟!** وما الذي قوى عزمها على البقاء مع هؤلاء العجزة المحاويج، **وهي في قمة شبابها؟!**

تسابقت هذه الأسئلة إلى خاطري، ثم تذكرت ما كنت أفكر فيه ليلتي السابقة، لقد شعرت بالتعاظم، والعُجْب لليلة واحدة قضيتها في هذا المكان، أما الآن – وبعد أن رأيت هذه المنصرة – تصاغرت نفسي، وأحسست بمهانتي وضعفي؛ فهذه المنصرة المضَلِّلَة تقدم كل هذا العمل بكل جَلَدٍ وصبر، وهي على الباطل، وأما أنا فسرعان ما انتفشت لعمل يسير لا أدري: أيكتب في الصالحين أم لا؟! ولا أقول هذا إعجاباً بهذه المرأة، أو أنها محل قدوة –عياذًا بالله– لكنني أَعجَبُ كيف يصبر هؤلاء على نشر باطلهم، ويعجز بعضنا، أو تصيبه السآمة والملل منذ بداية الطريق؟!

لقد هزني هذا الموقف هزًّا عظيماً، ورأيت كم يضحي هؤلاء الضُّلال لنشر ضلالهم، وأيقنت بأننا – معاشر الدعاة – أحوج ما نكون إلى الإخلاص والاحتساب.

أحوج ما نكون إلى البذل والتضحية، وبقدر انتصارنا على أنفسنا وإحساسنا بمسؤوليتنا الدعوية، **فإن الله - تعالى - سيبارك في أعمالنا قال الله تعالى:** ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٠٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد أزكى سلام، وأتم صلاة.. وبعد.

فإنَّ رسالة الإسلام جاءت لإصلاح هذا الإنسان، وعلى الداعية السير بخطى حثيثة في هداية الناس، ودعوتهم إلى ترك الباطل، وتذوق الخير، ومن ثم قبوله، والعمل به، وحمله إلى الآخرين.

ولاشك أن مما يعينه على ذلك جُملةُ وسائل، لعل من أبرزها:

١. التعلق بالله، واللجوء إليه، والتبرؤ من الحول والقوة المستمدة من غيره.

٢. الضراعة إلى الله في كل صغيرة وكبيرة (فالدعاء هو العبادة)(١).

٣. الصبر، وعدم الاستعجال مهما طال الزمن ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (البقرة: ٤٥).

٤. إرشاد الناس إلى التوبة، والقرب من الله في السراء أو الضراء.

وإن في أداء مناسك الحج والعمرة والشرب من ماء زمزم والاستشفاء بالقرآن والرقية الشرعية، وسائلَ ناجحة في تحقيق المرغوب، وتحريك الإيمان في قلب المدعو المحبوب.

٥. عدم احتقار الخير مهما قل؛ بذلاً، وزراعة:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ (الزلزلة: ٧).

٦. المبادرة، والقيادة وسيلتان هامتان لكل داعية صادق.

٧. لابد من تجاوز العقبات، والأزمات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك، قابليها.

اللهم استعملنا في طاعتك واحشرنا تحت لواء خليلك محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

(١) رواه ابو داوود والنسائي وابن ماجة

الكتاب في سطور

الدعوة إلى الله طريق عظيم سلكه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم الصالحون الكرام محتسبين الأجر راغبين أن يكونوا سبباً في نجاة من حولهم كما قال المولى عز وجل : فيأتي هذا الكتاب جامعاً (تجارب دعوية ناجحة) قام بها كثيرون، وكلهم لأقوا نجاحاً مبهراً، فتم تقسيم قصصهم على فصول سبعة هي:

- **الفصل الأول:** اهتمام المرء بإصلاح نفسه، والتحول الجميل في الحياة لستة نماذج رائعة.
- **الفصل الثاني:** اهتمام الزوجة بزوجها مجال خصب للدعةو لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، وجاء فيه عشرة قصص مشوقة.
- **الفصل الثالث:** تربية الأبناء لها أثر في رقي المجتمع، ويدلل على ذلك بتسع نجاحات مفرحة.
- **الفصل الخامس:** يبرز أهمية استغلال جميع المواقف في مختلف الظروف، مهما تكن نسبة النجاء،وجاء في ستة عشر موقفاً سريعاً.
- **الفصل السادس:** يقدم النصيحة لكل قارئ بين عدد من مآسي، وجراح المسلمين التي توجب الدعوة على الجميع ، وأكد ذلك بأربعة نماذج مأساوية تثير الحمية، الغيرة للعمل الدعوي.

سالين الله أن نكون جميعاً من الدعاة الفائزين بسكنى جنات النعمي.

صدر للمؤلف

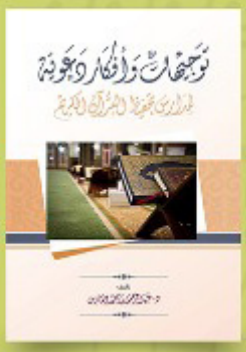

توزيع
مؤسسة الجرسيسي للتوزيع والإعلان
ص.ب: ١٣٠٥ – الرياض – ١١٤٣١
هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ – ناسوف : ٤٠٢٣٠٧٦